الشواف

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البَصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ
قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ- مركزِ تُراثِ البصرةِ العدد (٢١) - السنة السادسة
شوال ١٤٤٢ هـ - حزيران ٢٠٢١م



مجموعة حروف عربية تشكيلية كتبت بأكثر من خط وبألون متناسقة للفنان حيدر الحمراني

كلمة العدد

الكتابةُ، وهَيكَلةُ الموضوع

أنتَ لا تدري ما يحدث في الكتابة حتّى تنتهيَ منها؛ فالكتابةُ ليست قطعة من الحَلْوى ملفوفة بورق ملوَّن جميل، بل هي وحدةٌ متماسكةٌ متجانسةٌ في كلّ أجزائها، تحتاج معها إلى بعض المؤشّرات، وبعض من فكرة عمّا أنت ساعٍ إليه؛ فأنت لا تحتاج -ولا تحاول قطّ- تصميمَ الهيكل كاملاً، بل يكفيكَ أن تبدأ من مَشهدٍ واحد، جزءٍ صغيرٍ من الفكرة، قد يكون معلومةً أثارَت فيكَ عنوانَ الموضوع فقط، أو محاورةً، أو نظرةً إلى وجه أحدِهم.

وعلى هذه القاعدة، يمكنُك أن تبنيَ بوعيٍ تامٍّ، أصغرَ ملخَّصٍ ممكن للموضوع، ومن ثَمّ، قد تغدو محاولةُ جعله أطولَ وأكثرَ إتقانا شغلك الشاغل؛ إذ مهما يبلغُ من الروعة، فإنّه لن يقرّبك من إنجاز مهمّتك؛ فهي لا زالت مستمرّة، فعليكَ أن تبدأَ رحلةَ الألف ميلٍ بخطوة أولى جريئة.

التضحيةُ... لا مفرّ للمرء في أغلب الأحيان من بذلها، ونحنُ لا نعتقدُ بأنّ التضحيةَ التي نبذلها مع الكتابة كبيرةٌ.. كلُّ ما يُراد منكَ هنا هو الوقتُ والتفكيرُ، وفي هذه الحالة عليكَ أن تفكّر قبلَ أن تكتبَ، وعليك أن تتعاملَ بأمانةٍ مطلقةٍ مع نبرةِ الصوتِ التي تأتيكَ بانسيابٍ حرٍّ طبيعيٍّ، ليس ضروريّاً أن تكون نبرةُ صوتك هي نبرةُ ما ترسّخَ في ذهنك من تراثك؛ إذ ليس عليك أن تُثبتَ الحقيقةَ بقدر ما أن يكون دورُك البحثَ عن الحقيقة، فالثوبُ الذي يبدو زاهياً على أحد ما، نادراً ما يكون زاهياً عليك، إنَّ العيبَ الأشدّ افتضاحاً في غالبيّة الكتابات، هو أنّ نبرةَ الصوت لا تُناسب الكاتبَ، وقد تكون معدومةَ الحياة...

المَكان

الكاتبُ الهاوي، الذي يكتبُ في أوقات الفراغ لا يملك خياراً، ولا حاجةَ الى قولِ: إنّ الانفرادَ والهدوءَ ضروريّانِ، ولكنَّ الافتقارَ إليهما لا يقفُ عَقبةً؛ فقد كتب جملة من علمائنا كتبَهم في السّفر والتنقّل، وقد مرّوا بظروف قاسيةٍ لا يقوى المرءُ على العيش فيها، فضلاً عن الكتابة، كالنجاشيّ، والمحقّق، الشيخ يوسف البحرانيّ، وغيرهما، نعم.. إنّ إرادة الكتابة تخلق لك جوَّ العُزلة الذي تريدُ، فليسَ بالإمكان الانتظارُ حتّى تتوفّر الظروفُ المثاليّة.

ولكنّ، هذا لا يعني: أن تكفَّ عن الكفاح لتوفِّرَ هذه الظروف لنفسك، ولكن، تذكّر أنّ هذا يعني: التضحية بالمتعةِ والراحة والصّداقة.

• هيأة التحرير

أقرأ في هذا العدد...

٧ رئيسُ قسمِ المعارفِ يزور مَركَز تُراث البَصرة

١٢ جامعُ البَراضْعيّة الكَبير موقعٌ للتزوّد الروحيّ

١٩ نُحاةُ البَصرةِ يؤرِّخون لألقٍ ثقافيّ

٢٨ أقدمِ الأطبّاءِ والممرّضينَ والممرّضات والصيدليّات في البصرة

٣٢ الأحنف بن قيس البصري، سيرةٌ ومواقف

٤٢ كيفَ ومتى تشكَّل فريقُ منتخب البَصرة لكُرة القدم؟

٤٦ محمّد جبّار المعيبد (١٩٣٧-٢٠٠٠م) وسماته التحقيقية

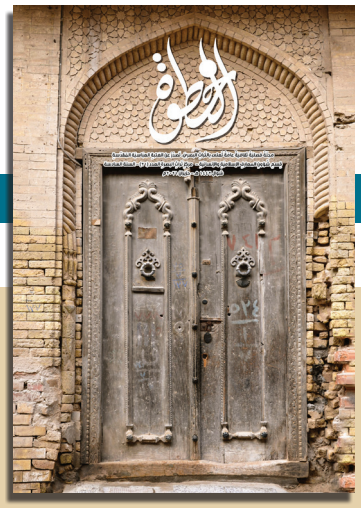
٥٢ رحلة الأب فيليب الكرملي إلى البصرة

٦١ كتاب: دُرّةُ الغَوّاص في أَوْهام الخواصّ (٢)

٧٦ قِراءةٌ في كتاب / الأوائلُ في البَصرة (١٤هـ- ٦٥٦هـ)







المطافة

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراث البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبة العبّاسيّة المُقدّسة - قسم شُؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة - مركز تُراث البصرة. العدد (٢١) - السنة السادسة. شوّال ١٤٤٢هـ - حزيران ٢٠٢١م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٢٠٨٧) لسنة ٢٠١٥م

المشاركون في هذا العدد

الشيخ علي الغزّي - الشيخ الدكتور محمود العيداني - أ.د حسين مصطفى - د. عامر السعد - أ. د. نجم عبد الله الموسوي - الأستاذ محمد صالح عبد الرضا- الأستاذ كريم علاوي - الأستاذ هاني نمر - الأستاذ حيدر شهيد جبر - حسين علي أيوب - الشاعرة الأستاذة حميدة العسكري - آمنة عبد الحسين كاظم



الإشراف العـام
الشّيخ عمّار الهلالي

رئيس التحريـر
الشّيخ شاكر المحمّدي

مدير التحريـر
ياسين يوسف اليوسف

سكرتير التحريـر
محمّد ثائر الزيدي

هيأة التحريـر
الشيخ مُدرك الحسّون - د.أشرف عبد الحسن
علي سلمان كنعان - عبد العزيز مسلم.

الإشراف اللغـوي
لجنة الإشراف اللغويّ في المركز

التصوير
أحمد عبد العبّاس - أمير جاسم العاشور

التصميم والإخراج الفني
محمّد شهاب العلي

عناوين المجلة
العراق- البصرة- البراضعيّة - شارع سيّد أمين
٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣ - ٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩
basrah@alkafeel.net
ص.ب/ ٣٢٣

الموقع الإلكتروني
mk.iq

تنويه:
مانشره هنا كلُّ ما يُلفت، وليس بالضرورة أن نكونَ موافقين عليه. كن شجاعاً، وأبْدِ رأيَك.



مركزُ تراثِ البصرةِ

يَعقد اجتماعاً موسّعاً لمناقشة القضايا العلمية في المركز

برئاسةِ مديرِ المركز سماحة الشيخ شاكر المحمدي (دام توفيقه)، وبحضور السَّادة أعضاء اللجنة العلميَّة عَقَد مركزُ تراثِ البصرة التابعِ لقسمِ شؤونِ المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العبّاسية المقدّسة اجتماعاً في مقره ناقش فيه العديد من القضايا العلمية التي تخص عمل المركز وخططه المستقبلية، منها منهجيته في تحديد المدد الزمنية في تحقيق المخطوطات، وإكمال طباعة الكتب، وآلية متابعة وكتابة البحوث والمقالات للمجلتين المحكمة والثقافية والسير بالمركز نحو الاهتمام اكثر بالجانب الفكري للتراث لإظهار الجوانب المشرقة لمدينة البصرة العريقة. وأكد أعضاء اللجنة العلمية في المركز على ضرورة فتح العلاقات ومد الجسور مع المؤسسات التحقيقية بما يخدم حركة المركز العلمية

رئيسُ قِسْمِ المَعارف

يزورُ مركزَ تُراثِ البصرةِ



زار رئيسُ قسم شؤونِ المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة، التابعِ للعتبة العباسية المُقدّسة، مركزَ تُراث البصرة، التابعَ للقسم المذكور.

وقد أجرى رئيسُ القسم فضيلة الشيخ عمار الهلالي دام توفيقه جولةً على وحداتِ المركزِ وأروقته، والتقى بالمسؤولين والمنتسبين، وناقش معهم مختلف القضايا المتعلقة بأعمالهم، واستمع إلى افكارهم ورؤاهم، وحاول تذليل العقباتِ أمامهم، وحثهم على مضاعفةِ الجهودِ، وزيادةِ الهمّةِ؛ من أجلِ رفع مستوى الإنتاجِ العلميّ، وتحقيق المزيد من الإنجازاتِ.

وتأتي هذه الزيارةُ، ضمنَ سلسلةِ الزياراتِ الّتي يُجريها فضيلته بين فترةٍ وأخرى؛ من أجلِ متابعةِ آخرِ الأعمالِ في المراكزِ التُراثيّةِ التابعةِ لقسمِ المعارف، والوقوفِ على ما وصلتْ إليه من منجزاتٍ، وتحديدِ خارطةِ العملِ المستقبليّةِ فيها



مجلَّة (تراثُ البصرةِ) المحكَّمة
تستأنفُ اجتماعَها الدّوريّ



بحمدِ اللهِ تعالى، عَقدتْ هيأةُ تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة، السّبت (١٢/٦/٢٠٢١ م)، الموافق: (١/ذو القعدة/١٤٤٢هـ)، جلستها الدّوريّة الـ(١٢٩)، وذلكَ في مقرِّ المركز، وقدْ تمَّتْ مناقشة جملة من الأُمور التي تخصُّ المجلَّة، وكما يأتي:

- التكليف باقتراحِ عنوانات تتعلّق بالتُّراث البصريّ من أجل تفعيل الاستكتاب البحثيّ.
- إحالة بعض البحوث المقدّمة إلى المجلّة على التحكيم.
- مناقشة رفد المجلَّة المحكَّمة والثقافيَّة بالبحوث والمقالات.
- مناقشة إمكانيّة تشكيل جمعيّة (خبراء التُّراث) الاستشاريّة للمركز.
- بعض متعلّقات العدد المزدوج (١١-١٢).

وتخلّلَ الجلسةَ جملةٌ مِن الآراء قدَّمها الأعضاءُ لإثراء المجلّة.



في إطار زياراته الثقافية.

المركز يزور نقابة الصحفيين في البصرة



زار وفدٌ من مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية في العتبة العباسية المقدسة مقر نقابة الصحفيين في البصرة والتقى رئيس نقابة الصحفيين فرع البصرة الاستاذ صادق العلي وتبادل الجانبان اطر التعاون لخدمة الثقافة البصرية.

وجاءت الزيارة ضمن الزيارات التي ينظمها المركز للتواصل الثقافي والمعرفي ومد جسور التعاون المشترك بينه وبين باقي المؤسسات الثقافية في البصرة للتعريف بنتاجات المركز ومجلتيه العلمية والثقافية مقدِّما بعض أعداد مجلة الخطوة الثقافية لفرع النقابة في البصرة.

من جانبه رحّب الاستاذ صادق العلي بوفد المركز معرباً عن سروره بهذه الزيارة، متمنياً استمرار التواصل والزيارات المتبادلة خدمة لمدينة البصرة وثقافتها.



مركزُ تُراث البصرة يُصدر الجزءَ السادسَ من كتاب (شهداء العقيدة والوطن)

صَدَر حديثًا عن مركزِ تراثِ البصرةِ، التابعِ لقسمِ شؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ في العتبةِ العبّاسيّةِ المقدّسةِ، الجزءُ السادسُ من كتاب (شهداءُ العَقيدة والوَطن)، وهو كتاب وثائقيٌّ يستعرض سيرةَ شُهداء فتوى الدفاع الكفائيّ المقدّسةِ في مدينة البصرة، خلَّد فيه تلك الثلَّةَ المؤمنةَ من الشهداء، واختار عيّنةً منهم، وهم شهداء الحشد الشعبيّ المبارك في البَصرة، الذين استجابوا لنداء الحقّ، وسارعوا إلى جبهات القتال لمقارعة قوى الشرّ والضلال بعقيدةٍ وإيمان راسخَين، فسطَّروا أروعَ الملاحم، حتّى ضُرِّجوا بدم الشهادة في ساحات الإباء والشرف والكرامة، فكانوا قلبَ التاريخ النابض، بعد أن عَرَجَت أرواحُهم الزاكيةُ إلى ملكوت ربّهم، فأعطَوا بشهادتهم ودمائهم حركةً وحياةً جديدتين للمجتمع، وغدَوا مشاعلَ نور تضيءُ طريقَ السالكين، وقدوةً يقتدي بها المجاهدون على مرّ الزمان.

تضمَّنَ الكتابُ توثيقا لمائةٍ وستّةٍ من الشهداء الأبرار بأقلام من مختلف المحافظات العراقيّة، ليكون تحفةً وثائقيّة للحاضر والمُستقبل.



العددُ الخاصُّ الأوَّلُ مِن مجلَّةِ (تراث البصرة) المحكَّمة

يُصافحُ أيدِي الباحثينَ، وينتظم في رفوفِ المكتبةِ الأدبيّةِ والعلميَّةِ

بفضلِ اللهِ تعالى، وبركاتِ المولى أبي الفضل العبَّاس بن أمير المؤمنينَ عليه السلام، أصدرت مجلَّة (تراث البصرة) المحكّمة عددها الخاصُّ الأوّل، وهو عن شاعر البصرة (بدر شاكر السَّياب)، وقدْ تضمَّن العدد (سبعة) بحوث تخصّصيَّة بأقلامٍ أكاديميَّة متميِّزة، تناولت جوانب متنوِّعة من الإمكانيّة الإبداعيَّة لهذا الشّاعر، وهيَ بهذا تُضيفُ جديداً إلى قائمةِ ما كُتبَ وأُلِّفَ عنه، والجدير ذكره أنَّ هذا الإصدار جاء ضمن العدد العاشر للمجلّة، وفي سنتها الثالثة.


جامع البراضعية الكبير
جامع البراضعية الكبير

جامعُ البَراضْعِيّة الكَبير

موقعٌ للتزوّد الروحيّ

هاني نمر عجمي

تعدُّ هذه الأماكنُ المقدّسة من أهمّ مواقع التزوُّد الروحيّ للعبد المسلم، ولهذه القدسيّة التي خصَّ اللهُ بها المساجدَ، دَأبَ المسلمون على عمارتها وتعظيمها، حتّى لا تكاد تخلو أيّةُ مدينة اسلاميّة من هذه الصروح المباركة، وللبصرة قَصَبُ السّبق في تأسيس الكثير من المساجد على مرّ التاريخ، ابتداءً من مسجد البصرة المعروف بجامع وخُطوة الإمام عليٍّ عليه السلام، ثاني مَسجد بُنيَ في الإسلام بعد المسجد النبويّ الشريف، وانتهاءً بزماننا هذا، وصولاً الى جامع البَراضْعِيّة الكبير، أحد هذه الصروح الاسلاميّة، وأحد المساجد المعروفة في البصرة.

الموقع وزمان التأسيس

يقعُ الجامع في منطقة البَراضْعِيّة، وهي عبارة عن منطقةٍ صغيرةٍ تقع بين نهرِ الخُورَة الى ما قبلَ نهر السرّاجيَ، وبالرُّغم من صِغَر مساحة المنطقة، لكنّها تعجُّ بكثرة مساجدِها وحسينيّاتها؛ إذ تضمُّ ثلاثةَ مساجدَ، وأكثرَ من اثنتي عشرةَ حسينيّةً، وقد سُمّي هذا الجامعُ بجامع البَراضْعِيّة نسبةً الى اسم المنطقة، والكبير لأنّه أكبرُ مساجدها، ويعودُ تاريخُ تأسيسه الى أكثر من ثلاث مائة عام، ولم يُعرف اسمُ المؤسِّس؛ لبُعد زمن التأسيس.

أنشطةُ الجامع

دَأَبَ أئمّةُ الجامع وخصوصاً في السنوات الأخيرة على تفعيل دور الجامع؛ عبرَ نافذة النشاطاتِ الدينيّةِ والثقافيّة، واحتضانِ فِئة الشباب؛ وذلك من خلال المحاضرات التوعويّة الأسبوعيّة، وإقامةِ الدورات الفقهيّة والعقائديّة والقرآنيّة، فضلاً عن إقامة المحافلِ الدينيّة بمختلف جوانبها، كمناسباتِ أهلِ البيت عليهم السلام،





من ولاداتهم وشهاداتهم، وكذا هناك موكب للجامع يحمل اسم (موكب النبي الهادي عليه السلام)، له مشاركاتٌ في مواسم الزيارة، وخصوصاً زيارة الأربعين.

المراحلُ العُمرانيّة

بُني الجامعُ من مادّة الطين (السَّد)، وبني سقفُه من الصندل (الجندل)، وبقي على هذا الحال الى عام ١٩٩٥م، حينما تمّ بناؤهُ بناءً من الطراز الحديث، وبقي شاخصاً الى يومنا هذا.

تَولية الجامع

بعد نزوح بعض العوائلِ من أرضِ البحرَين الى البصرة بسبب المضايقات التي كانوا يتلقَّونها من الجماعات المتشدّدة آنذاك، كانت من بين تلك العوائل النازحة عائلةُ بيت المَرهون، التي استوطَنَت البصرةَ في أواسِط القرنِ الثامنَ عشرَ الميلاديِّ تقريباً، وعند مجيئهم، كان بناءُ جامع البراضعيّةِ شاخصاً، فعملوا على خدمتِه، وكان الحاج مَدَن المرهون هو المتولّي بادئ الأمر، ثمّ جاء بعده الحاج حمَد المرهون، وبعده الحاج طالب المرهون، وأما تولية الجامع في يومنا هذا، فهي بيد الحاج عبد الله المرهون.

خَدَمَةُ الجامع ومؤذّنوه

نالَ شرفَ الخدمة والأذان في هذا الجامع المبارك الكثيرُ من المؤمنين، الذين سمت أرواحُهم وتعلّقت بخدمة هذا المكان المبارك، ومن أبرز من رفع الأذان في هذا الجامع المبارك العديد من المؤمنين وكان ذلك قبل اختراع الأجهزة المكبرة للصوت، فصدحت حناجرُ كلٍّ من: الحاج جاسم الدوغَجي، والحاج جبّار الجامجي،

والحاج حمزة، والحاج أحمد، و الحاج عبّود، وغيرهم من آل الدوغجي، واليوم الحاج عبد القادر نجل الحاج جبّار الجامجي.

أمّا بخصوص الخَدَم، فكان من بينهم الحاج حمزة، والسيّد طالب، والحاج جبّار الجامجي، وهو أحد المؤذّنين أيضاً، وغيرهم من المؤمنين.

أئمّةُ الجَماعة

أمَّ صلاةَ الجماعة في هذا الجامع المبارك عددٌ من أئمّة الجماعة، منهم: السيّد جعفر، والشيخ حسين البصريّ البحراني، والميرزا عبّاس، وأمّا في عام ١٩٩٥م، فكان مجيء العلّامةُ السيّد هادي جمال الدين الى الجامع، وهو من تولّى صلاةَ الجماعة، وبعد وفاته عام ٢٠٠٩م، تولّاها نجلُه السيّد رياض جمال الدين.

خُطباءُ المنبر الحسينيّ

هناك الكثير من الخطباء ممّن ارتقَوا منبرَ هذا الجامع وصدحت حناجرُهم بذكر سيّد الشهداء، أمثالُ: الحاج علي الدوغجي، والملّا عبود سلمان الدوغجي، والحاج جاسم الدوغجي، والملّا فلاح حسن، والشيخ عبد الحسين، والملّا نوري، وغيرهم.

المضايقات

جامعُ البراضعيّة حالُه كحال بقيّة المساجد؛ فقد تمّ تضييق الخناق عليه، ومُنِع أصحابُه من إقامة الشعائر الدينيّة إلّا بإجازة من قِبَل السلطة، وبشروطٍ، وتعهّدات، وعدم الإشهار بمظلوميّة أهل البيت عليهم السلام، سواءً أكان ذلك بلافتة، أو رايةٍ، أو مكبّر صوت خارجيّ، فكل ذلك يعدُّ ممنوعاً بزمن النظام البعثيّ السابق، أمّا اليومُ، فالجامعُ والمؤمنون فيه يتمتّعون



بحريّة مطلقة في أداء شعائرهم الدينيّة.

مكتبةُ الجامع

بما أنَّ المساجدَ هي دورُ عبادة ودورُ ثقافة تَنشر علومَ أهل البيت عليهم السلام؛ لذا، احتوى الجامع على مكتبة تحوي العديدَ من الكتب المهمّة، ذهب جلّها أيّام النظام السابق، وكانت تمتدُّ في القِدَم فتشمل الكثيرَ من المصاحف القديمة، وكتبِ الأدعية، والكتب الفقهيّة والعقائدية المهمّة، وفي النيّة إعادة بنائها ورفدها بالكتب والمصادر لتكون مركزَ إشعاع يصلُ نورُها الى طلّاب الثقافة والعلوم من أهل المنطقة وغيرها من مناطق البصرة.

سيبقى جامع البراضعية الكبيرُ معلماً من معالم البصرة الحديثة، وستبقى نَفَحاتُه تبعثُ في الروح الطمأنينة والسّكينة.

دُعاء (كُمَيْل)[1] وعَلاقتُه بالبصرة



ياسين يوسف اليُوسف

يقول ألِكْسيس كاريل - وهو طبيبٌ وجرّاحٌ وفيزيولوجيٌّ فرنسيٌّ حاز على جائزة نوبل في الطبّ عام ١٩١٢م - : «هذا، وحين يغدو الدعاءُ عادةً، يصبحُ ذا أثرٍ قويٍّ على الطّباع، من أجل ذلك يجب أن نواظبَ على الدعاء»[2]، وقد انكبَّ هذا الرجل على دراسة الدعاء وتأثيره على صحّة الإنسان وشفائه من الأمراض العضويّة من خلال عدّة مؤلَّفات، مع أنّه لم يكن رجلَ دين أو فيلسوفاً أو متصوّفاً.

وينقل عنه أيضاً: «إنّ العقولَ البشريّةَ قد تقدّمت كثيراً، ولكنَّ من المأسوف له بقاءَ القلوب على ضَعفها؛ إذ لا يمكن تقويتها إلّا عن طريق الإيمان، ثمّ إنّ جميعَ المفاسد والفساد المنتشر والمستشري في العالم ما هو إلّا بسبب قوّة العقول، وبقاءِ القلوب على ضعفها وعدم تقويتها»[3]. ومن المعلوم أنّ قوّةَ القلب إنّما تكون بالارتباط بالغيب، والإيمان، وكثرةِ الدعاء، والتوسُّل بالخالق العَظيم.

ومن الأدعية المأثورة التي وصلت إلينا: الدعاء المعروف بدعاء كُمَيْل، الذي يعدُّ من الأدعية ذات الأبعاد الروحانيّة العظيمة، والمفاهيم الفلسفيّة الراقية، فيه مضامينُ عاليةٌ، وقد تصدّى الكثير من العلماء لشرحه وبيان فضله وتأثيره، وقد قال فيه الشيخ عبّاس القمّي: «هُوَ من الدّعوات المعروفة. قالَ العلّامةُ المجلسيُّ رضي الله عنه: إنّه أفضل الأدعية، وَهُوَ دعاء الخضر عليه السلام، وقد علّمه أميرُ المؤمنين عليه السلام كميلاً، وَهُوَ من خواصّ أصحابه، ويدعى به في ليلة النّصف من شعبان، وليلةِ الجُمعة، ويجدي في كفاية شرّ الأعداء، وفي فتح باب الرّزق،

وفي غفران الذُّنوب. وقد رواه الشَّيخُ والسَّيِّد كلاهما، وأنا أرويه عَن كتاب (مصباح المتهجِّد) وَهُوَ هذا الدُّعاء..»[٤].

ورغم أنّ هذا الدعاء يُعرف بدعاء كُميل، لكنّ الدعاء ليس لكُميل بن زياد النخعي، وإنّما هو للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفي الرواية أنّه دُعاء الخُضر عليه السلام.

إذا تعرّضنا إلى مستوى الإثبات التاريخيّ لهذا الدعاء، فإنّه يرجع إلى مصدرَين أساسيّين وسائر الكتب ترجع إليهما وهما: مصباحُ المتهجّد للشيخ الطوسيّ (٤٦٠هـ)، وهو الأقدم والأهم، فقد قال الشيخ: «روي أنّ كميلَ بنَ زياد النخعيَّ رأى أميرَ المؤمنين عليه السلام ساجداً يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان: اللهمَّ إنّي أسألك برحمتك التي وسعت كلَّ شيء، وبقوّتك التي قهرتَ بها كلَّ شيء..»[٥].

والمصدر الثاني هو كتاب (إقبال الأعمال) للسيّد ابنِ طاووس (٦٦٤هـ)؛ إذ قال: «ومن الدَّعَوات في هذه الليلة: ما رويناه بإسنادنا إلى جدّي، أبي جعفر الطوسيّ رضي الله عنه، قال: رُوي أنّ كميلَ بنَ زياد النخعيَّ رأى أميرَ المؤمنين عليه السلام ساجداً يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان. أقول: ووجدتُ في رواية أخرى ما هذا لفظُها: قال كميلُ بنُ زياد: كنتُ جالساً مع مولاي أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة، ومعه جماعة من أصحابه، فقال بعضهم: ما معنى قولِ الله عزّ وجلّ: ﴿فيها يفرق كلّ أمر حكيم﴾؟، قال عليه السلام: ليلة النصف من شعبان، والذي نفسُ عليّ بيده، إنّه ما من عبدٍ إلّا وجميع ما يجري عليه من خيرٍ وشرٍّ مقسومٌ له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة، وما من عبدٍ يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام، إلّا أجيب له. فلمّا انصرفَ، طرقتُه ليلاً، فقال عليه السلام: ما جاء بك يا كميل؟ قلت: يا أمير المؤمنين، دعاءُ الخضر، فقال: إجلس يا كُميل، إذا حفظتَ هذا الدعاءَ، فادعُ به كلَّ ليلة جمعة، أو في الشهر مرّة، أو في السنة مرّة، أو في عمرك مرّة، تُكفَ، وتُنصرْ، وتُرزقْ، ولن تعدمَ المغفرةَ، يا كميل، أوجبَ لكَ طولُ الصحبة لنا أن نجودَ لكَ بما سألتَ، ثمّ قال: أكتب: اَللّهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْء، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيْء، وَخَضَعَ لَها كُلُّ شَيء، وَذَلَّ لَها كُلُّ شَيء، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتي غَلَبْتَ بِها كُلَّ شَيء، وَبِعِزَّتِكَ الَّتي لا يَقُومُ لَها شَيءٌ..»[٦].

وفي هذا المصدر أعني إقبالَ الأعمال يذكر ابنُ طاووس أنَّ أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام علَّم تلميذه كميلَ بنَ زياد هذا الدعاء المشهور على أرض البصرة.

ويُذكر أنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام، بعد انتهاء معركة الجمل، بقيَ في البصرة ما يقرب من (٧٢) يوماً؛ ليعالج الآثار السلبيّة على المجتمع البصريّ[٧]؛ نتيجةً لتعرّضه إلى الاعلام المغرض والمضلّل من قِبَل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام.

قد يرى بعضُهم أنّه لا سند معتبرَ لإثبات صحّة ورود دعاء كميل عن المعصوم، وهنا أريد الإشارة إلى بعض الأمور المهمّة، التي قد سبقي إلى ذكرها الكثيرُ، ولكن، أذكرُها للتذكير والتأكيد، وهي كما يأتي:

أوّلاً: إنَّ الدعاء ذكره شيخُ الطائفة الطوسيُّ رحمه الله في كتاب (مصباح المتهجد)، حيث سمّاه بدعاء الخُضر، وقال: إنّ كميلَ بنَ زياد النخعيّ رأى أمير المؤمنين عليّاً ساجدا يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان، وهذا يمنحه درجة من الاعتبار؛ لأنَّ كتاب

(مصباح المُتَهَجّد) أو ما يسمى بـ (المصباح الكبير) من الكتب المعتبرة، وقد حَظي باهتمامٍ كبيرٍ من قِبَل علماء الشيعة.

وكذلك ذكر الدعاءَ السيّدُ ابنُ طاووس في الإقبال، وهذا الكتاب من الكتب المهمّة التي تعدّ مصدرا من المصادر الرئيسة في الدعاء، اعتمد عليه الكثيرُ من العلماء المتأخّرين.

ثانياً: جرت عادة الإماميّة على أنّهم ينقلون الأدعية عن المعصومين عليهم السلام، ولا يروون الدعاء عن غير المعصوم، وهم لا يهتمّون بذكر السّند، خلافا للروايات الفقهية؛ فإنّهم يتشدّدون في ذكر سندها، وهذه أشبه بالقاعدة، ومن ذلك دعاءُ كميل.

ثالثاً: يُضاف إلى ما تقدَّمَ أنّ متنَ الدعاء يفصح عن أنَّه صادرٌ من أهل العصمة والطهارة؛ فالمتن شاهدٌ على صحّة السّند.

رابعاً: جرت العادةُ على التسامح في سند المستحبّات والمكروهات، وهناك قاعدة معروفة لدى الفقهاء تعرف بقاعدة (التسامح في أدلة السنن)، يمكن العمل بالدعاء من خلالها.

الهوامش

١- هو كميلُ بنُ زياد النَّخعيّ، صاحب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قتله الحجّاجُ بنُ يوسف الثقفيُّ عام ٨٢ هـ؛ لشدّة ولائه وحبِّه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢- كتاب الدعاء، البروفسور الكسيس كاريل، ترجمة: د. محمد كامل سليمان: ص٤٥.

٣- شرح دعاء كميل المعروف بأسرار العارفين: السيد جعفر بحر العلوم: ص١٤.

٤- مفاتيح الجنان: ص ١١٥.

٥- مصباح المتهجد: ٨٤٤ – ٨٥٠.

٦- إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣: ٣٣١ – ٣٣٨.

٧- ينظر: أمير المؤمنين في رحاب البصرة، د. جواد النصر الله، طبعة مركز تراث البصرة: ص١١٥.



نُحاةُ البصرةِ يؤرِّخون لألقٍ ثقافي

القسم الثاني

الدكتور: عامر السعد

لاشكّ في أنّ نهوضَ المدن وعلوّها مرهونٌ بأعلامها وعظمائها، لأنَّ هؤلاء هم مصدرُ الثقافة، ومنبعُ المعرفة، فما من خطوةٍ تخطوها مدينةٌ ما إلى أمام إلاّ وكانَ القلمُ قد رسمَ لها الهدفَ والاتجاه، وعليه فإنَّ اشدَّ ما يُوجعُ المدنَ أنْ يقعَ حيفٌ على عالمٍ من علمائها لأنّ غاية ذلك الحيف كثيراً ما تكون المكانَ الذي ينتمي إليه ذلك العالم، وفي تاريخنا شواهدُ على ذلك منها ما أصاب العالم البصري الكبير «عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه» (ت١٨٠ هـ) على يدِ حكام بني العبَّاس، إذْ لم يرُقْ لبغداد مقرّ السلطة وعاصمة الخلافة أن تتعاظمَ البصرةُ، حتى بدأت تُحاك المؤامرة على يدِ مقربين من السلطة، ليفعلوا ما فعلوه بسيبويه الذي لم ينحن يوماً للسّلطة، ولم يقف على أبواب سادتها وأمرائها، وإنّما ظلَّ شامخاً صُلبا بعلمه، فلمع نجمه وبلغ مكانة مرموقة حتى عُدّ أعظم من أنجبته البصرة بعد «الخليل»، وصارت البصرة محجاً لطلاب العلم لينهلوا من هذا الفذّ فنونَ اللغةِ ومسائل النحو.

لقد تحدّث عنه العلماء وأشادوا ببراعته في النحو، وكان «الخليلُ» اذا اقبل عليه «سيبويه»، يقول له: (مرحباً بزائرٍ لا يُمَلُّ) .

وقيل انَّه منذ حداثة سنه قد تعلَّق من كل علم بسبب، وعلى ما يبدو ان النحو في ذلك الوقت قد غدا ساحة منافسة غايتها ان ينطبع الشعور العام بمن هو الاعلم.

ومن المؤكّد أنّ مَنْ يشعرُ بما يُميِّزهُ من الكفايةِ والمقدرة، لا يروقُ له أنّ يترك الساحة لغيره، والظاهر أنّ المناظرات هي التي سادتْ لتحقيق الغَلبة ، وكانت للسلطة يدٌ في ذلك؛ لأنها تحرص في أنْ يكون ذلك التميّز للعاصمة.

لقد شاع أن (الكسائي) في بغداد قد تغلّبَ على كل من ناظرة، وإنّ مثلُ هذه الأخبار قد طرقت مسامع (سيبويه)، فقرر أن يدخل في مناظرة مع (الكسائي) وهو متيقن من أنّ الغلبة ستكون له، وراحَ قاصداً بغداد.

هكذا تقول الرواية ، ولكن ثمة شكّ في أنّ السلطة الحاكمة هي التي استدعته كجزء من التآمر على البصرة التي بدت تتألق في عطائها العلمي، ومما يرجّح ذلك الشكّ هو أنّ الكسائي عندما علم بمجيء سيبويه دخل على جعفر بن يحيى البرمكي والفضل ابن يحيى البرمكي واخبرهما بذلك فقالا له : (احتلْ لنفسِكَ فإننا سنجمعُ بينكما).

هنا لابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ الكسائي وهو أبو الحسن علي بن حمزة (ت ١٨٩هـ) لم يكن من طالبي المال أو الجاه وقد دخل إلى قصر الخلافة لقصةٍ معروفةٍ هي أنَّ المهدي العبَّاسي أيام خلافته كان له مؤدب لولده الرشيد، وقد دخَل عليه ذات يوم وهو يستك، فسالة: (كيفَ تأمرُ من السِّواك؟) فقال : (استكْ يا أميرَ المؤمنين) فقال المهدي: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من هذا الرَّجل فقالوا له: رجل يقالُ له: الكسائي من أهل الكوفة، فطلبه، ولمّا دخل عليه سأله: يا عليّ بن حمزة: (كيفَ تأمرُ من السواك؟)فأجابه: (سُكَّ فاكَ) فقال المهدي: أحسنتَ وأصبت ولهذا عينهُ مؤدِّباً لولدهِ الرَّشيد، ثم صارَ مؤدِّبا لولد الرشيد، واستقرَّ في بغداد .

من هنا بدأت الحكاية أي حكاية المناظرة بين (سيبويه) و (الكسائي) حتى أنْ اجتمعا في قصر الخلافة ولقد حضر سيبويه وحده، أما الكسائي فقد حضر معه جمعٌ من النحويين منهم (الفرَّاء) و (الأحمر) وآخرون أمّا السؤال الذي وُجِّه إلى سيبويه فالظاهر أنه ليس من الكسائي على ما يُستَشَفُّ مما ذكره أبو بكر الزبيدي قائلا: «وحضرَ الكسائي ومعه الفرّاء والأحمر وغيرهم من أصحابه فسألوه: (كنتُ أظن العقربَ أشدّ لسعةً من الزّنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها» فقال سيبويه: أقول: فإذا هو هي.

فأقبل عليه الجميع فقالوا: أخطأتَ ولحنْتَ، وبما أنّ الطرفين قد اختلفا، فلا بُدَّ من طرفٍ ثالثٍ يحكُم بينهما، هنا تدخلت (السُّلطة) فقال يحيى ابن خالد بن برمك: هذا موضع مشكلٌ حتى يُحكم بينكم ، فقالوا: هؤلاء الأعراب على الباب فأُدخِلَ عدَدٌ منهم وكان منهم من يأخذ عنهم الكسائي وأصحابه، فقالوا (فإذا هو إياها) فانصرم المجلس

على أنّ سيبويه قد اخطأ.

إلى هنا تكون القصة قد انتهت لكنها نهاية تثير الكثير من التساؤلات التي يفاد منها أنَّ هناك مؤامرة قد حاكتها السّلطة لتنتقص من مدينة تعالت مكانتها العلمية وذاع صيتُها في الافاق، وكانوا يظنون انهم يحققون ذلك من خلال ما صنعوه بعالمها الكبير (سيبويه)، ومن بين تلك التساؤلات:

- لماذا لم يترك الحِجاج يسير في الأجواء العلميّة وحدها بعيداً عن تدخل السُّلطة؟ إنّ السبب في ذلك ليس بخافٍ، إذْ أنَّ السلطة الحاكمة، وعلماء النحو الذين يعملون معها كمؤدبين لأولادهم يدركون حجم سيبويه العلمي وقدراته النحوية الكبيرة، مما يُفيد أنهم كانوا يرجحون فوزه، وليس ذلك -عندهم- بلائق أن يُهزَم مؤدبو أولادهم أمام رجلٍ قادم من البصرة.

وإلا فما معنى قول جعفر بن يحيى والفضل ابن يحيى للكسائي: (احتلْ لنفسك سنجمع بينكما).

- ماذا يعني وجود الأعراب في الباب في أثناء الحِجاج، وهم من أعراب الحطمة الذين ينزلون بالقرب من بغداد، ومنهم كان الكسائي وأصحابه يأخذون شواهدهم ويقيسون عليها.

إنَّ هذا الحضور لهؤلاء الأعراب في ذلك الوقت دفع بعضهم إلى القول أنَّ هناك (رشا) قد دُفعت اليهم من السلطة، ومن المؤكد أنَّ سيبويه لم يعتمد على هؤلاء في قياساته النحوية، ومعروف أنَّ هناك خلافا بين المنهج البصري والمنهج الكوفي، والكسائي وأصحابه يدركون ذلك، فالكسائي قد تلقى جانبا من عمله على يد النحاة البصريين، فعلى ما يَذكر أنه تتلمذ في الكوفة على يد معاذ بن مسلم الهرّاء (ت ١٨٧ هـ او ١٩٠ هـ) واضع على الصرف، وأبي جعفر الرؤاسي (ت١٨٧هـ) الذي يُعَدُّ مؤسس مدرسة الكوفة النحوية لكنّه -على ما يبدو- أحسّ بقصور عند الكوفيين في مجال النحو، فقرر التوجه إلى البصرة بعد أن تيقّن أنّ النحو عند البصريين قد بلغ أوّج نضجهِ واكتمل على يدِ الخليل، وما أن وصل البصرة حتى لزم حَلقة الخليل، وكان شديد الإعجاب به وبسعة اطلاعه، ووضوح المسائل النحوية عنده حتى سأله ذات يوم: من أين أخذت علمك هذا؟ فأجاب الخليل: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فترك حلقه الحلقة ورحل إلى البادية يسمع ويحفظ ويدوّن حتى اذا ما اقتنع بحصيلته من ذلك عاد إلى أُستاذه ثانية؛ ليطلعهُ على ما جمعه من مادة لغوية، لكنَّه وجد الخليل قد مات، ووجد (يونس بن حبيب) قد تصدَّر مجلسه، فراح يحضر عند يونس، حتى أحسّ أنَّه قد بلغَ مبلغَ رياسة حلقات فعاد إلى الكوفة ليؤدي رسالته هناك وليبُثَّ آراءه وأفكاره، وما استجد عنده من مسائل النحو.

- تُشير الروايات الى أن الجمع بين (سيبويه) و (الكسائي) كان بأمر من (الرشيد) وقد حُدّدَ يومٌ لذلك، فلما كان ذلك اليوم حضر سيبويه الى المكان الذي أُعد للمناظرة، فوجد الفرّاء (ت٢٠٧هـ) وعلي

ابن المبارك الأحمر (ت١٩٨هـ)، وآخرين، ولمّا يأتِ الكسائي .

وما أنّ جلس سيبويه حتى انهالت عليه الأسئلة، وكلما اجاب عن سؤال يقول له الأحمر: (لقد أخطأت يا بصري) الى أن قال سيبويه: (هذا سوءُ أدبٍ)، ثم قال : (لستُ أكلمكما، أو يحضر صاحبكما حتى أناظره).

من الواضح أنّ ذلك يكشف عن قصدية الإساءة الى علم من اعلام البصرة شهد القاصي والداني برجاحة علميته واتساع قدرته، وألاّ فهل من الأدب واللياقة أن يعامل عبقري مثل سيبويه بمثل تلك الصورة التي لا يعامل بها أبسط الناس .

- (سيبويه) عند عودته من بغداد اتجه الى (الاهواز) ولم يمرّ في البصرة، وهذا ما يفهم من كلام (الأخفش) سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) الذي تحدّث عنه قائلاً: «فلّما دخل إلى شاطئ البصرة وجَّه إليّ فجئتهُ، فعرّفني خبرهُ مع البغدادي، ثم مضى إلى الأهواز».

هذا الأمر يبدو في غاية الغرابة !!

كيف لا يمرّ بمدينته التي عاش فيها وتعلم من على يد شيوخها، ونشر علمه منها !؟

هل من السهولة أن يرحل من غير أن يودّع صحبهُ وتلامذته وخاصته ؟

ألم يَكُنْ له في بيته ما يحتاج إليه ؟ هل يُصدق أنه يترك كل شيء ويرحل ؟

لا شك في أنّ ذلك مؤشّرٌ إلى ان حركته لم تكن بمحض إرادته، وإنّما كان محكوماً بقيود السطلة الحاكمة التي أرادته أن يكون بعيداً عن (البصرة)، ظنّاً منهم انها ستتراجع عن مكانتها العلمية والثقافية لتتصدّر (بغداد) عاصمة الخلافة .

هكذا رحل سيبويه بعيداً عن المدينة التي أحبها، حتى وافته المنية ودُفن في مدينة (شيراز).

أخيراً، إنّ ما حِيك من الدسائس ضَدّ مدينة العلم والعلماء لن يحجب منابع النور التي ظلت ألقاً بصرياً لامعاً في كلّ العصور، وظلت الذاكرة البصرية عالقة بسيبويه وبكتابه الذي قال عنه الجاحظ : «لم يكتبّ الناسُ في النحو كتاباً مثله».

المَكتَبةُ العامّةُ في البَصرة (١٩٣٦-١٩٥٨)

م. م. حيدر شهيد جبر الخفاجي

تُعرَّفُ المكتبةُ العامّة بأنّها مؤسَّسةٌ ثقافيّةٌ تتكاملُ فيها مجموعةٌ من العناصر الأساسيّة والإضافيّة لمواجهة القراءة والبحث في المجتمع الذي تقوم بخدمته؛ من خلال استخدام مجموعة من المُقتَنَيات المختلفة الشّكل، مستغلَّةً ما يتوفّر لديها من إمكاناتِ الاتّصالِ بشبكاتِ المكتباتِ والمعلوماتِ داخل البلد وخارجَه، وتقومُ بتنظيم هذه المقتنيات بشكلٍ يجعلُها في متناول من يحتاجها بأقلّ جُهد[1].







تعودُ البداياتُ الأولى لتأسيس المكتبة العامّة في البصرة إلى تراجع وتوقّف نشاط مكتبتَي: النقشبنديّة، والتجدُّد؛ ففي تشرين الثاني من عام ١٩٣٣م، أُسدل الستارُ على النشاط الثقافيّ للأولى؛ بسبب عجزٍ طَرأ على هيأتها الإداريّة، الأمرُ الذي اضطرّها إلى تسليم كافّة مقتنياتها من الكتب والأثاث إلى مديريّة أوقاف البصرة[٢]، أمّا الثانيةُ، فكانت على وشك الاضمحلال؛ بسبب انسحاب القسم الأعظم من أعضائها، وعدم وجود موردٍ ماليٍّ معيَّن لسدّ نفقاتها، ومع ذلك، بقيَت في أواخر أيّامها تمارسُ نشاطَها الثقافيَّ بشكل محدود في البصرة حتّى ٢٩ نيسان عام ١٩٣٥م، عندما قامت سكرتاريّة المكتبة بتسليم محتوياتها من كتب وأثاث إلى إدارة معارف البصرة[٣]، وبذلك تلاشت المكتبةُ، وسلّمت بنايتها إلى مالكها[٤].

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ على توقّف نشاط مكتبتَي: التجدّد، والنقشبنديّة، حتّى بدأت الجهاتُ الرسميّةُ في البصرة تُدرك أهمّيّة إيجاد البديل لهما، لا سيّما أنَّ العناصر المثقّفة في المجتمع البصريّ آنذاك قد اعتادت على استعارة وشراء ومطالعة الصّحف والمجلّات منها، لذلك، أولت متصرّفيّة البَصرة، المتمثّلةُ بمتصرّفها، السيّد تحسين علي[٥]، اهتماماً واضحاً بهذه القضيّة؛ ففي مطلع آب عام ١٩٣٤م، وجَّهت متصرّفيّة البصرة كتاباً إلى مديريّة الأوقاف العامّة، أبدت فيه أسَفَها لبقاء الكتب العائدة للمكتبتين المذكورتين قيد الحِفظ والإهمال، واحتمالِ تعرّضها للتلف، وأشارت إلى قيمتها العلميّة، وأهميّتها للمجتمع البصريّ، وأنّ المصلحة تقتضي دمجَ هاتين المكتبتين في مكتبة واحدة.

ومّما جاء في كتاب متصرّفية لواء البصرة: «أنَّ سعادتكم تشاطروننا الرأي، بأنَّه من الحَيف أن تبقى كتبُ هاتين المكتبتين محفوظةً، ومهملة، ومعرّضةً للتلف، وفيها الكتبُ القيِّمة والصَّالحة دون أن يستفيد منها الجمهور البصريّ، وأنّ المصلحة تقتضي توحيد كتب هاتين المكتبتين في مكتبةٍ واحدة عامّة، تتولّى إدارتَها مديريّةُ معارف لواء البصرة؛ وذلك بتعيين موظَّف يدير شؤونها، ولا يحتاج الأمرُ إلّا إلى إيجاد بناية خاصّة لهذه المكتبة، ونعتقد قويّاً بأنَ مديريّتكم العامّةَ المحترمةَ تقدّرُ هذا العملَ الجليلَ، الذي ستخلّده لسعادتكم مدينةُ البصرة؛ نظراً لما ينتجُ منه من فوائدَ علميّةٍ وأدبيّةٍ جزيلة، فساعدوا هذه الغاية الشريفة

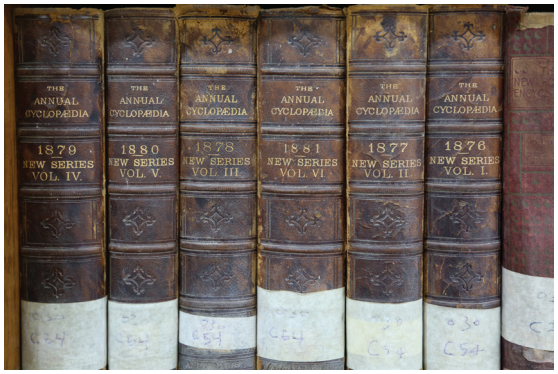
بإيجاد بناية خاصّة على حساب الأوقاف، تتشؤونها خصّيصاً لهذه المكتبة؛ لتكون الأداةَ الصالحةَ للتثقيف والتهذيب... فالرجاءُ عطفُ النظر نحو ذلك، والتفضّل بإعلامنا برأيكم؛ حيث أنّي مستعدٌّ لإيجاد هذه العَرَصَة المذكورة، وتقديمها إليكم مجّاناً. وإنّ البناية المطلوبة عبارة عن صالة واحدة وغرفتين»[٦].

و من جانبها، أيّدت وزارةُ المعارف ما ورد في كتاب المتصرّفيّة، وخاطبت مديريّة الأوقاف العامّة بكتابها المرقّم (٧٨٥٠)، المؤرّخ في ٣٠ آب ١٩٣٤، الذي أثنت فيه على ما جاء في كتاب المتصرّفيّة؛ إذ تضمّن كتابُها إلى مديريّة الأوقاف ما يأتي: «إشارةً الى كتاب متصرّفيّة لواء البصرة، المرقم (٨٢٨٣) بتاريخ ٨/٢٣/ ١٩٣٤، إنّنا نؤيّد ما جاء في كتاب المتصرفيّة المشار إليها، ونعتقد أنّ مديريّتكم تقدّر هذا العمل الجليلَ؛ لما له من الفوائد العلميّة والأدبيّة لصالح البلاد»[٧].



وعلى الرّغم من تلك الجهود المبذولة، إلّا أنّ ردّ مديريّة الأوقاف العامّة كان مخيّباً للآمال؛ وذلك عندما أبلغت متصرفيّة لواء البصرة في كتابِ جوابٍ جاء فيه: «إنّنا آسفون جدّاً لعدم وجود مخصّصات في ميزانيّة الأوقاف يمكن أن يصرف منها على مثل هذا المشروع المبحوث عنه»[٨]، ومع ذلك، لم ييأس متصرّف لواء البصرة من الحصول على مساعدة مديريّة الأوقاف في هذا الموضوع، لذلك، بادر مرّة أخرى إلى مخاطبتها، ملتمساً إيّاها التجاوبَ معه، مشيراً إلى الأهداف النبيلة والفائدة





الكبيرة التي يمكن أن يحقّقها مثلُ هذا المشروع للبلاد بشكل عامّ، وللمجتمع البصريّ بشكل خاصّ، لاسيّما جيل الشباب، وطلبَ من المديريّة وضعَ التخصيصات اللازمة في ميزانيّة العام القادم؛ لغرض إنشاء هذه المكتبة، وأحاط المتصرِّفية علماً بذلك[٩].

ونظراً لتكرار مديريّة الأوقاف ردّها السلبيَّ للمرّة الثانية؛ بحجّة عدم توفّر المخصَّصات الماليّة، فقد بادرت متصرفيّة لواء البصرة إلى معالجة الموضوع بالتعاون مع وزارة المعارف؛ عندما دمجت المكتبتَين المذكورتين في عام ١٩٣٦ في مكتبة واحدة سُمّيت بـ(مكتبة المعارف العامّة)، بعد أن استأجرت داراً من إحدى العوائل البصريّة، وخصَّصتها للمكتبة المذكورة[١٠].

السنوات	عدد المطالعين
١٩٥٠-١٩٤٩	١٩٦٧٠
١٩٥١-١٩٥٠	٢٧١٦٧
١٩٥٢-١٩٥١	٢٧٢٢٤
١٩٥٣-١٩٥٢	٢٤٨٥٨
١٩٥٤-١٩٥٣	٢٢١١٠
١٩٥٥-١٩٥٤	٢٣١٦٦
١٩٥٦-١٩٥٥	١٩٧٧٢
١٩٥٧-١٩٥٦	٢١٨٩٤
١٩٥٨-١٩٥٧	٣٦٦٣٣

وحرصت وزارةُ المعارف العامّة على تسجيل أعداد المطالعين في جميع المكتبات العامّة في العراق منذ



العام ١٩٤٩-١٩٥٨، ومن ضمنها: المكتبةُ العامّة في البصرة، التي كانت أعداد المطالعين فيها كما هو مبيّن في الجدول الآتي[١١]:

وفي مطلَع عام ١٩٥٧، تمّ إكمالُ البناية الجديدة للمكتبة، وتقع قرب مبنى الإدارة المحلّيّة في العشّار، وأقيم لها حفلُ افتتاح، وَجّهت من خلاله لجنةُ الاحتفال الدعوةَ الى عددٍ كبيرٍ من الشخصيّات البصريّة وكبار الموظّفين لحضور الحفل في يوم الجمعة، المصادف ٤ كانون الثاني ١٩٥٧[١٢]، وأصبحت المكتبة العامّةُ محلّ اهتمام متصرّف اللواء، الذي شملها برعايته، لتكون من أروع المكتبيات المحلّيّة في البصرة، وأكثرها نظماً، فضلاً عن كونها منهلاً لطلّاب العلم والمعرفة، وتمّ اقتراحُ إنشاء قاعةٍ كبيرةٍ للمحاضَرات وعرض الأفلام السينمائيّة والثقافيّة، على غِرار ما تقوم به المكتباتُ العالميّة؛ لكي تتوفّر جميعُ الشروط فيها، ولتؤدّي هدفَها بشكل كامل[١٣].

الهوامش:

١- رائد علي فرعون، المكتبة المركزيّة العامّة في محافظة البصرة ودورها في الإعلام الجماهيريّ، رسالة ماجستير مقدّمة الى جامعة البصرة- كليّة الآداب، ٢٠١٨، ص١٦.

٢- د، ك، و، ملفّات وزارة الداخلية- الديوان، رقم الملفّة، ١٠٢١٢/ ٣٢٠٥٠، مكتبة النقشبنديّة في البصرة، و، ٤، ص٤.

٣- إدارة معارف البصرة: تشكلت في عام ١٩١٧ من قبل الإدارة



البريطانيّة في البصرة؛ إذ اقترح الحاكمُ السياسيُّ للبصرة ماكنزي تشكيل مجلس للمعارف، يتولّى مسؤولية الإشراف على شؤون المعارف في المنطقة، وتتألّف عضويّته من ممثّل عن أهالي البصرة، وآخر عن دائرة الواردات، وآخر عن المدرسة الأمريكيّة في البصرة. للتفاصيل ينظر: عبد الرزّاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١، بغداد-١٩٧٥، ص ٤٩.

٤- د، ك، و، ملفّات وزارة الداخليّة، الديوان، رقم الملفّة ١٠٣٧٩/ ٢٠٣٥٠، مكتبة التجدّد في البصرة، عن كتاب سكرتاريّة مكتبة التجدّد الى متصرّفيّة لواء البصرة، عدد ٤٤٦٠، بتاريخ ٢ مايس ١٩٣٥، و١، ص ١

٥- تحسين علي ١٨٩٠-١٩٧٠: ولد في بغداد عام ١٨٩٠، أصبح متصرّفاً للواء البصرة في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٣٣، وبقي في منصبه حتّى عام ١٩٣٨؛ إذ نُقل في الثاني والعشرين من أيلول عام ١٩٣٨ الى مديريّة الأشغال العامّة، وأقام في بيروت أواخر حياته، وبعد عودته الى العراق، توفّي في الحادي والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٧٠. للمزيد من التفاصيل ينظر: مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، ج٢، لندن-٢٠٠٤، ص ٥٠٠.

٦- د، ك، و، ملفّات وزارة الداخليّة- الديوان، رقم الملّفة، ١٠٢١٢/ ٣٢٠٥٠، مكتبة النقشبنديّة في البصرة، عن كتاب متصرفيّة لواء البصرة إلى مديرية الأوقاف العامّة، عدد ٣٢٨٥، بتاريخ ٢٣ آب ١٩٣٤.

٧- المصدر نفسه، عن كتاب وزارة المعارف الى مديريّة الأوقاف العامّة، عدد ٧٨٥٠ بتاريخ ٣٠ آب ١٩٣٤.

٨- المصدر نفسه، عن كتاب مديريّة الأوقاف العامّة الى وزارة المعارف، عدد ٣٩٢٧ بتاريخ ٥ أيلول ١٩٣٤.

٩- المصدر نفسه، عن كتاب متصرفيّة لواء البصرة الى مديريّة الأوقاف العامّة، عدد ٩٢٢١ بتاريخ ١٣ أيلول ١٩٤٣.

١٠- هناء نعمة محمد الغالبي، دائرة المعارف البصريّة، ج٤، بيروت-٢٠١٦، ص ١٥١٦؛ وعد علي كاظم العبودي، الأوضاع الثقافيّة في لواء البصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدّمة الى كلّية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة ذي قار، ٢٠١٨، ص ٧٢.

١١- من عمل الباحث، بالاعتماد على التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٤٩-١٩٥٠، بغداد-١٩٥١، ص ١٣٣؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥٠-١٩٥١، بغداد-١٩٥٢، ص ١٢٥؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥١-١٩٥٢، بغداد-١٩٥٣، ص ١١١؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥٢-١٩٥٣، بغداد- ١٩٥٤، ص ١٢١؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥٣-١٩٥٤، بغداد-١٩٥٥، ص ١٢٦؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥٤-١٩٥٥، بغداد- ١٩٥٦، ص ١٢٧؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥٥-١٩٥٦، بغداد-١٩٥٧، ص ١٤٧؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥٦-١٩٥٧، بغداد-١٩٥٨، ص ١٤٤؛ التقرير السنويّ عن سير المعارف لسنة ١٩٥٧-١٩٥٨، بغداد-١٩٥٩، ص ١٤٩.

١٢- صحيفة الثغر، العدد ٦٤٢٠، ٢ كانون الثاني ١٩٥٧.

١٣- صحيفة الناس، العدد ٢٤٠١، ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٧؛ الدستور، العدد ٤٨٠، ٥ شباط ١٩٥٧.

أقدمِ الأطبّاءِ والممرّضينَ والممرّضات والصيدليّات في البصرة

الأستاذ كريم علّاوي

نشرت (المنارة) الغرّاء في عددها (١٣٢) تحقيقاً للأستاذ (عبد الله رمضان العيادة)، تحت عنوان (أقدم الأطبّاء والممرّضين في البصرة)، وقدْ قدَّم له مقدَّمةً جيّدةً، وأودُّ أنْ أذكر أنَّ الأخ قدْ نَسِيَ بعضَ المُستشفيات القديمة، وعدداً كبيراً من أطبّاء العشرينيّات والثلاثينيّات والأربعينيّات، وبعض المضمّدينَ والمضمّدات والممرّضات، وكما يأتي:

- مستشفى الصّالحيّة (الكَرنتينة): كان هذا المستشفى للقوّات البريطانيّة التي دخلت البصرة سنة (١٩١٤م)، قبل تشييد مستشفى (مود) - الجمهوري حاليّاً- ويُسمّى (الكرنتين)، وهو في الصّالحيّة، في الجهة المقابلة للمستشفى التعليميّ، مقابل فم نهر الخورة، على السّاحل الشّرقيّ المقابل، وهو قصر المنديل، وكان يستقبل المرضى من العراقيّينَ، وقدْ استُغنِيَ عنه بعد تشييد مستشفى (مود).

- مستوصف الموانئ في التنّومة: كانت مديريّة الموانئ في (التنّومة) قبل انتقالها إلى (المعقل)، وكان فيها مستوصف لمعالجة منتسبيها، وكان أطبّاؤه من الإنجليز، وبعد انتقال الموانئ إلى المعقل، شُيِّدَ مستشفى قرب المقرِّ العام، مقابل محطّة القطار تقريباً، وكان المستشفى خاصّاً بمنتسبي الموانئ والسِّكك وعوائلهم، وكان رئيسُهُ الدّكتور (تورنتن) إنجليزي الجنسيّة، ثمّ الدكتور (محمّد علي فتّاح)، وقدْ استُغني عن المستشفى بعد تشييد مستشفى الميناء الحالي في بداية الستينيّات.

- مستوصف العشّار: وكان قرب تمثال (أسد بابل)، بجانب محلّ الموسويّ للمواد الزراعيّة، وخلفه كنيسةٌ كانت هناك، وعندما كنّا طلّاباً في الثلاثينيّات، كنّا نتداوى فيه، وكان المسؤول عنه الدّكتور (خلّوف)، وهو مصريُّ الجنسيّة، والصَّيدلانيّ فيه (مونا)، والد (سامي) و(بهجت).

وأودُّ - أوّلاً - أنْ أذكر الأطبّاء الذين جاؤوا مع القوّات البريطانيّة عند دخولها البصرة سنة

أقدم مستشفيات البصرة في منطقة المفتية في شط العرب عام 1917



(١٩١٤م)، وبقوا فيها:

- الدّكتور ديفد: وهو هنديُّ الجنسيّة، جاء مع القوّات البريطانيّة، وكان مِن أشهر الأطبّاء، وقدْ شاهدتُ عيادته في الثلاثينيّات في شارع الصّاغة حاليّاً، ثمّ انتقل إلى عيادة قرب ساعة سورين في بداية سوق المغايز، وكان يسكن في الطابق الذي يكون فوق عيادته.

- الدّكتور أوكلي: وهو إنجليزيُّ الجنسيّة، وقدْ جاء مع القوّات البريطانيّة، وكان مديراً لمستشفى الجمهوري حتّى وفاته، وكان اختصاصه الجراحة، وقدْ أجرى لي عمليّة إزالة الغضروف من ركبتي في نهاية كانون الأوّل سنة (١٩٥٦م)، وقدْ زارني في ليلة عيد الميلاد في غرفتي في المُستشفى، وقال لي: أُريد أنْ أشاهدَ أوّلَ مباراةٍ رسميّةٍ تلعبها، ومع الأسف الشّديد، توفّي قبل أنْ يُشاهدَ المباراة.

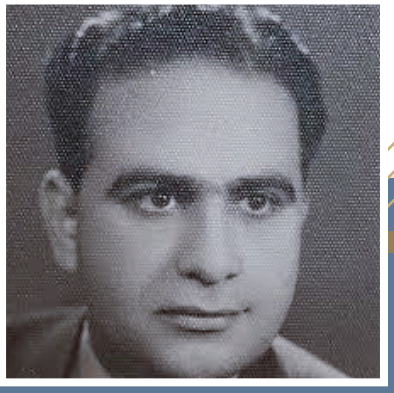
- الدّكتور كودمان: وهو إنجليزيُّ الجنسيّة، وقدْ جاء مع القوّات البريطانيّة، وكانت عيادتُه في سوق المغايز.

- الدّكتور برودي: وهو إنجليزيُّ الجنسيّة، جاء مع القوّات البريطانيّة، وكانت عيادتُه في سوق المغايز، قرب عمارة الخضيري.

- الدّكتور تورنتن: وهو إنجليزيُّ الجنسيّة، جاء مع القوّات البريطانيّة، وكان مديراً لمستشفى الموانئ، ولم تكن له عيادة.

- الدّكتور عتيشة وزوجته الدّكتورة: لم يباشر الدّكتور (عتيشة) نشاطه في الأربعينيّات، وإنّما جاء مع القوّات البريطانيّة، وكان رئيساً للصّحّة الوقائيّة في البصرة في الثلاثينيّات، وكانت عيادتُه مع زوجته في مسكنها قرب كراج الفاو حاليّاً.

- الدّكتور برونان سنك: وهو هنديُّ الجنسيّة، جاء



الدكتور عبد الستار عبد الجبار



الدكتور أحمد طه السَلمان

مع القوّات البريطانيّة، وكانت عيادته في الثلاثينيّات في سوق الصيّاغ، وكان اختصاصه الباطنيّة، ثمّ ذهب إلى انجلترا، وعاد متخصّصاً في العيون، ثمّ عُيِّن قنصلاً للهند في البصرة، وترك مهنته واشتغل بالتجارة.

- دكتور هنديٌّ (سيكي) لا أعرف اسمَهُ: مختصٌّ بمكافحة الملاريا منذُ الثلاثينيّات، ولم تكن له عيادة.

وأذكر -الآن- الأطبّاء العرب والعراقيّين الذين جاؤوا بعد ذلك:

- الدّكتور خلّوف: وهو مصريُّ الجنسيّة، وكان مسؤولاً عن مستوصف العشّار في الثلاثينيّات.

- الدّكتور عبد الحميد الطّوخي: وهو مصريُّ الجنسيّة، وكان رئيساً لصحّة البصرة في نهاية الثلاثينيّات والأربعينيّات، وكانت عيادتُه في نهاية سوق المطاعم قرب سوق المغايز.

- الدّكتور توما هندو: وكانت عيادتُه في سوق الصيّاغ، وهو عراقيُّ الجنسيّة.

- حبيب هندو: وكان رئيساً للصّحّة الوقائيّة في الأربعينيّات، وكانت عيادتُه في نهاية سوق الصيّاغ.

- الدّكتور شاكر توفيق: وكان رئيساً لصحّة البصرة بعد الطّوخي، وكانت عيادتُه في نهاية سوق المطاعم.

- الدّكتور شاكر البجّاري: وكان طبيباً في المستشفى الجمهوريّ، ثمّ رئيساً لصحّة البصرة بعد (شاكر توفيق)، وكانت عيادتُه في نهاية سوق المطاعم.

- الدّكتور سعد الدّين: وهو سوريُّ الجنسيّة، وكان طبيباً في المستشفى الجمهوريّ، وكانت عيادتُه في العزيزيّة.

- الدّكتور عبد الستّار عبد الجبّار الملّاك: وكان طبيباً في المستشفى الجمهوريّ، وكانت عيادتُه في منتصف سوق الصيّاغ.

- الدّكتور عبّاس زادة: وكان طبيباً عسكريّاً في الأربعينيّات، ولم تكن له عيادة.

- الدّكتور جلال عطا الخضيريّ: وكان عسكريّاً في الأربعينيّات، وليست له عيادة.

- الدّكتور جعفر محمّد كريم: وكان عسكريّاً في الأربعينيّات، وكانت عيادتُه في شارع المطاعم.

- الدّكتور الرفيعيّ: وكان عسكريّاً في الأربعينيّات، ولم تكن له عيادة.

- الدّكتور أحمد طه السّلمان: كانَ جرّاحاً في المستشفى الجمهوريّ نهاية الأربعينيّات، وكانت عيادتُه في عمارة النقيب.

- الدّكتور عبد السَّلام العطَّار: وكان طبيباً جرّاحاً في المستشفى الجمهوريّ، ثمّ سافر إلى الخارج لإكمال دراسته، وقد شارك في العمليّة التي أُجريتْ لرئيس الولايات المتحدة (جون كندي) عندما تعرَّض لإطلاقِ الرّصاص، وكانت عيادتُه في العزيزيّة، وكان طبيباً في مستشفى الموانئ في السّبعينيّات، ثمّ انتقل إلى بغداد.

- الدّكتور بدر عبد المجيد: وكان طبيباً في المستشفى الجمهوريّ، وكانت عيادتُه في نهاية سوق الصيّاغ، وكان من أبطال القفز بـ(الزانة) للتربيات في الثلاثينيّات.

- الدّكتور رامي: واختصاصهُ طبّ العيون، وكان طبيباً في مستشفى (مود) المستشفى الجمهوريّ حاليّاً- عيادتُه، وبيتُه في العشّار، في محلّة العزيزيّة.

- الدّكتور استاوري: وهو مختصٌّ بالباطنيّة، وعيادتُه في نهاية سوق الهنود، الصيّاغ حاليّاً.

- الدّكتور كشيشان: واختصاصهُ الباطنيّة، وعيادتُه قي البصرة، ولدى الشّاعر (كاظم الحجّاج) نكاتٌ تخصُّ الدّكتور المذكور.

- الدّكتور عبد السّلام العطّار: واختصاصه الجراحة، وكان يعمل في مستشفى (مود) -المستشفى الجمهوريّ حاليّاً- وفي مستشفى الموانئ، وعيادتُه في العشّار، في محلّة العزيزيّة، وفي بغداد.

- الدّكتور مصطفى طه السّلمان: اختصاصهُ الجراحة، وكان يعملُ في المستشفى الجمهوريّ حاليّاً، وعيادتُه في العشّار، في عمارة النقيب.

التّضميد والتّمريض:

- المضمّد عبد عيسى: وكان مسؤولاً في مستوصف الطلّاب منذ نهاية الثلاثينيّات.

- المضمّد كيورك، أبو غازي: وكان مسؤولاً في مستشفى الموانئ منذ الثلاثينيّات.

- المضمّدة صبيحة: وهي زوجة الأستاذ (جليل جواد)، المدرّس في مدرسة (الأمريكان)، وكانت مسؤولةً في مستوصف الطلّاب منذ نهاية الثلاثينيّات.

أمّا الممرّضاتُ:

- الممرّضة زكيّة عمسو: ممرّضة منذ الثلاثينيّات، وهي والدة أستاذنا في الإعداديّة المركزيّة في الأربعينيّات، عم (إسكندر).

- الممرّضة حلوة حنّا: وهي ممرّضة منذ الثلاثينيّات، وتسكن في محلّة البجّاريّ، ثمّ سكنت فيما بعد في منطقة (بريهة).

- الممرّضة حياة: وهي ممرّضة منذ الثلاثينيّات، وكانت تسكن في شارع (أبو الأسود).

- الممرّضة دولة: زوجة الرّياضي القديم، المرحوم (عبد الوهّاب ناجي)، وهي ممرّضة منذ الثلاثينيّات، وكانت تسكن البصرة القديمة.

الصَّيدليّات:

كانت صيدليّة (سليم) في محلّة السِّيف في سنة (١٩٤٠م)، أمَّا في العشّار، فكانت هناك صيدليّات أقدم منها، وقدْ شاهدتُ منها في الثلاثينيّات:

- صيدليّة العراق: ومكانها في بداية سوق المغايز، ولا زالت هناك إلى الآن.

- صيدليّة سميح: ومكانها في منتصف سوق المغايز.

- صيدليّة جوليس عمسو: ومكانها في منتصف سوق المغايز.

- صيدليّة باكوس: ومكانها في نهاية سوق المغايز، وأوّل سوق الصيّاغ.

- صيدليّة عاشير: ومكانها في نهاية سوق المطاعم.

الأحنف بن قيس البصري

سيرةٌ ومواقف

الشَيخ الدكتور محمود العيداني

هو سيّد تميم، ويُضرب به المثلُ في الصبر والحلم، الأحنفُ بنُ قيس، العالمُ والحكيمُ والشجاعُ وصاحبُ الرأي والمشورة.

أدرك الأحنفُ عصرَ النبي صلى الله عليه وآله، ولكنّه لم يره، وكان يُعدّ من دُهاة العرب، وقد تميّز بصفة الحِلم، حتّى صار العربُ يضربون به المَثَلَ، فيقولون: «أحلمُ مِن الأحنَف».

وكان يُعرف بالأحنَف؛ لأنّه كان أعرجَ من انقلاب ظهر قدمه نحو الأرض. وعلى الرّغم من علّاته الجسديّة، فقد كان شجاعاً مقداماً، وصاحبَ مواقفَ يُحمد عليها مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وابنه الإمام الحسن عليه السلام.

رُوي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أرسل جماعة يرأسهم رجلٌ من بني ليث إلى البصرة؛ ليدعوا أهلها إلى الإسلام والتمسّك بفضائله، لكنّه لم يجد أذنًا صاغية، فقال الأحنفُ للناس: واللهِ، إنّ الرجلَ يدعو إلى خير، ويأمر بالخير، وما أسمع إلّا حُسنًا، وإنّه ليدعو إلى مكارم الأخلاق، وينهى عن رذائلها.

ولمّا عاد اللّيثيُّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، ذَكرَ له ما جرى هناك، وما سمعه من الأحنف، فقال صلى الله عليه وآله: «اللّهم اغفر للأحنف»، فكان الأحنفُ بعد ذلك يقول: فما شيءٌ أرجى عندي من ذلك، يعني: من دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله، فأسلَمَ.

قال الحسنُ البصريُّ عنه: «ما رأيتُ شريفَ قوم كان أفضلَ من الأحنف».

وسُئل ذات مرّة: كيف أصبحت رئيسًا لقومك؟ فقال: بعوني للمحتاجين، ونصرتي للمظلومين.

وقد سُئل الأحنف عن الحِلم ما هو، فقال: هو الذلّ مع الصبر، وكان يقول إذا عَجِبَ الناس من حلمه: «إنّي لأجد ما تجدون، ولكنّي صبور». ومن أقواله: «عجبتُ لمن جرى في مجرى البول كيف يتكبّر»، وكان يقول: «أكرموا سفهاءَكم؛ فإنّهم يكفونكم العارَ والنّار».

ذكره الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وعدّه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أصحاب الحسن عليه السلام.

موقفه مع أمير المؤمنين عليه السلام

شهدَ الأحنفُ بنُ قيس جميعَ حُروب الإمام عليّ عليه السلام، إلّا حرب الجمل؛ إذ قال لأمير المؤمنين عليه السلام قبل الخروج: يا أميرَ المؤمنين، اِختَر منّي واحدةً من اثنتين؛ إمّا أن أقاتل مَعك بمئتي محارب، وإمّا أن أكفّ عنك ستّةَ آلافٍ سيقاتلون مع طلحةَ والزبير، فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: أكْفُف عنّا الستّة آلاف أفضل. فذهب الأحنفُ إليهم، ودعاهم إلى القُعود، واعتزل بهم، وكان ذلك سببًا في عدم ذهابه إلى حرب الجمل.

وفاته

توفّي الأحنف بن قيس (رضوان الله عليه) سنة ٦٧ هـ بمدينة الكوفة. وقال مصعب يوم وفاته: «ذهب اليوم الحزم والرأي».

موقفه من خلافة معاوية

وقد نقل موقفه من معاوية لمّا دخل عليه في الشام، فذُكر أنّه لمّا دخل الْأَحْنَفُ بنُ قيس على معاويةَ، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: أَنْت المطّلعُ علينا بالغدر، والناظرُ في عطفيه شزراً، أنت الَّذي مَرَّضتَ نَفسَك بالغرور، وقَدمتَ على مفظعات الْأُمُور، مَعَ إعانتك عَليَّ بن أبي طَالب، وجلادُك إيَّايَ، وإجلابُك عَليّ الْخَيل وَالرجل يَوْم صفّين، وتحمّلُك على أهل الشَّام بقوائم السيوف وَطول الرماح.

فَقَالَ الْأَحْنَفُ: مَه يَا مُعَاوِيَةُ، فَإنّ لي مثلَ مَا أعرفُ وَمَا لَا أعرف، فَإن شِئْتَ، ذكّرتُك مَا تعرفُ، وأوضحتُ لَك مَا لَا تعرف، وَأمّا قَوْلُك: أعنتَ أَمير الْمُؤمنِينَ، وأجَلَبْتَ يَوْم صفّينَ الْخُيُولَ وَالرِّجَالَ، فَأنْتم ـ وَالله ـ معاشرَ قُرَيْش قتلتمْ أميرَكم، وجررتُم أفلاذه، وَالدَّارُ منّا نازحة عَنهُ، وقطعتُم رَحِمَه، وسفكتم دَمَه، ثمَّ إنَّكُم ألزمْتمونا دَمَه، فوَاللَّه إنّ الْقُلُوبَ الَّتي أبغضناكَ بهَا لبينَ جوارحنا، وَإنَّ السيوف الَّتي جالدناك بهَا، لفي أعناقنا حمائلُها، وبأيدينا قَوَائمُهَا، وإيمَ الله، مَا تَدْنُو بباعٍ من الْغدرِ إلَّا دَنَوْنا منْهُ بباع من الخَتْر، وَإن شِئْتَ، لتصفين قُلُوبنَا بحِلْمك.

فَقَالَ مُعَاوِيَة: إنِّي لفاعل ذَلِك، ثمَّ قَالَ للحاجب: أخرجهُ، فَأخْرَجَهُ.



المصادر

١- رجال الطوسي، الشيخ الطوسي، ص٢٦. المحقق: جواد القيومي الأصفهانى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم، ١٤١٥ هـ.

٢- الأنساب، السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد، ج١٢، ص٣١٠ـ ٣٤٥، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٣- وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٢، ص٤٩٩ـ ٥٠٦. المحقق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، ١٩٠٠.

٤- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، بدر الدين العيني، ج١، ص٤٠، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية.

٥- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير الاعلام، الذهبي، ج٢، ص٦١٧ـ ٦١٩. تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٦- الأعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠.

٧- أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن بكار (أو ابن الوليد بن بكار) الضبي (المتوفى: ٢٢٢هـ)، المحقق: سكينة الشهابي، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



السَّبابِجَةُ في البَصرة

حسين علي أيوب

بعد أن أرست الدولةُ الإسلاميّة قواعدَها في سنة (١٠هـ)، أرسل النبيُّ محمّدٌ صلى الله عليه وآله كتباً الى الملوك والدول التي كانت قائمة آنذاك، مثل: إمبراطوريّة الروم، والفرس، وغيرهما من الدول، يدعوهم الى اعتناق الدين الإسلاميّ، ونبذِ الكفرِ والضّلال، واستمرّت الفتوحاتُ حتّى بعد ما آلَت السلطةُ لمن تلا النبيَّ صلى الله عليه وآله بعد وفاته، فدخلت أقوامٌ كثيرةٌ تحت راية الإسلام، أمثال: الزُّطّ، والزُّنج، والسبابجةِ، وغيرِها، وتقلّد بعضُ هذه الأقوام مناصبَ كبيرةً في الدولة الإسلامية، ومن هذه الأقوام هم السَّبابِجَةُ.

ونظراً للدور المهمّ الذي قام بهِ السَّبابِجَةُ، وأثرِهم الكبير في الأيّام الأولى من خلافة الإمام عليّ عليه السلام، وثناء أميرِ المؤمنين عليه السلام عليهم، أحببنا أن نسلّط الأضواءَ على إشراقاتٍ مقتبسةٍ من هذه الفئة البصريّة.

السَّبابِجَةُ: قومٌ ذوو جَلَد من السّندِ والهِند، يكونون

مع رئيس السفينة البحريّة، يُبَذْروقونَها[1]، واحدهم سبيجي، ودخلت في جمعه الهاء للعُجمة والنَّسب، كما قالوا: البرابرة، وربّما قالوا السابج؛ قال هميان:

لوْ لَقِيَ الفِيلُ بِأَرْضٍ سابِجًا
لَدَقَّ مِنْهُ العُنْقَ والدَّوارِجا

سبج: السّبجَة والسَّبيجة: درعٌ عَرضُ بَدَنه عَظْمَةُ الذّراع، وله كُمٌّ صغيرٌ نحوَ الشّبر، تلبسه ربّاتُ البيوت؛ وقيل: هي بُرْدَةٌ من صوف فيها سَوادٌ وبَياض[2].

وذكر الفارابيّ السبابجة، فقال: «قومٌ من السِّند، كانوا بالبصرة جَلاوِزَةَ وحرّاسَ السّجن»[3].

وذكر الفراهيديّ في كتابه: «السِّيبْجيّ، ويُجمع سَيابِجَة: قومٌ جُلَداءُ من السِّند كانوا يعملون في السّفن»[4].

وأورد البلاذريُّ أنّهم كانوا جنوداً من الفرس الذين سُبوا وأُسروا من السند في الفتوحات الإسلاميّة، فأسلَموا، ونزلوا في بني حنظلة في البصرة أيّام ولاية أبي موسى الأشعريّ[5].

وأما المفيدُ، فوصفهم بقوله: «وكانوا قوماً من الزُّطّ قد استبصروا، وأكل السجودُ جباهَهم، وأتمنهم عثمان على بيت المال ودارِ الإمارة»[6].

ولمّا قُتل عثمان بن عفّان، وبويع الإمامُ عليٌّ عليه السلام بالخلافة أواخر سنة (٣٥هـ)، كان من أوّل أعماله عليه السلام عزلُ الولاة الذين عيّنهم عثمان على الأمصار الإسلاميّة؛ لما لسياستهم من أثر كبير في ظهور الفتنة، وتفريق الناس، وممارسة سياسة المُحاباة، والقتلِ، والقمع، والظلم، والنفي، ومصادرةِ الحرّيّات والحقوق. وكان عاملُ عثمان على البصرة عبدَ الله ابن عامر، وكان عمره (٢٥) عاماً، وقد امتدّت ولايتُه من سنة (٢٩) الى سنة (٣٦) للهجرة الشريفة، ولمّا دخلت سنة (٣٦) هـ، فرّق الإمامُ عليٌّ عليه السلام عمّاله على الأمصار، فبعث عثمانَ بنَ حُنَيْفٍ على البصرة، التي كانت آنذاك تشهد حالةً من غياب الإدارة، والتذمّر من السلطة، والانفلات الأمنيّ؛ وذلك بنص الطبري: «وأمّا عثمانُ بنُ حُنيف، فسار، فلم يردَّهُ أحدٌ عن دخول البصرة، ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأيٌ ولا حزمٌ ولا استقلالٌ بحرب. وافترق الناس بها، فاتّبعت فرقةٌ القومَ، ودخلت فرقةٌ في الجماعة، وفرقةٌ قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة، فنصنع كما صنعوا»[7]. وهي إحدى الأمصار التي شاركت بالوفد الذي ذهب لطرح مشاكلِ الوالي على عثمان.

فلمّا وصل الوالي الجديدُ الى البصرة، أبقى على السلطة التي كان السّبابجةُ يتمتّعون بها، من حراسة دارِ الإمارة والوالي وبيت المال، وكان لهم موقف ثابتٌ ومشرّف، ولم ينجرّوا خلفَ الفتنة التي قادها أصحاب الجمل، بل أعلنوا ولاءهم للإمام عليٍّ عليه السلام، ووالِيه الجديد.

ذكر ابنُ أبي الحَديد في شرح نهج البلاغة: «فلمّا اسْتَوْسَقَ لطلحةَ والزبيرِ أمرُهما، خرجا في ليلةٍ مظلمةٍ ذاتِ ريحٍ ومطر، ومعهما أصحابُهما، قد ألبسوهُم الدروع، وظاهروا فوقَها بالثياب، فانتهَوا إلى المسجد وقتَ صلاة الفَجر، وقد سبقهم عثمانُ بنُ حنيفٍ إليه، وأقيمت الصلاة، فتقدّم عثمانُ ليصلّيَ بهم، فأخَّره أصحابُ طلحةَ والزبير، وقدّموا الزبيرَ، فجاءت السبابجَةُ، وهم الشّرط حرسُ بيت المال. فأخرجوا الزبير، وقدّموا عثمانَ، فغلبَهم أصحابُ الزبير، فقدّموا الزبيرَ وأخّروا عثمانَ، فلم يزالوا كذلك حتّى

كادت الشمسُ تطلع، وصاحَ بهم أهلُ المسجد: ألا تتّقون أصحابَ محمّدٍ وقد طلعت الشمس! فغلب الزبيرُ، فصلّى بالناس، فلمّا انصرفَ من صلاته، صاحَ بأصحابه المستسلِحين أن خذوا عثمانَ بنَ حنيف، فأخذوه بعد أن تضاربَ هو ومروانُ بنُ الحَكَم بسيفيهما، فلمّا أُسر، ضُربَ ضَربَ المَوت، ونُتفَ حاجباهُ وأشفارُ عينيه وكلُّ شعرة في رأسه ووجهه، وأخذوا السبابجةَ وهم سبعون رجلاً، فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة، فقالت لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عُنُقه؛ فإنَّ الأنصارَ قتلت أباكَ، وأعانت على قتله، فنادى عثمانُ: يا عائشةُ، ويا طلحةُ، ويا زبيرُ، إنَ أخي سهلَ بنَ حُنيف خليفةُ عليِّ بنِ أبي طالب على المدينة، وأقسمُ بالله إن قتلتموني، ليضعنَّ السيفَ في بنى أبيكم وأهليكم ورهطِكم، فلا يبقي أحداً منكم. فكفّوا عنه، وخافوا أن يقع سهلُ بنُ حُنيف بعيالاتهم وأهلِهم بالمدينة، فتركوه. وأرسلت عائشةُ إلى الزبير أن اقتل السبابجةَ؛ فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك. قال: فذبحهم ـ والله ـ الزبيرُ كما يُذبح الغَنَمُ، وليَ ذلك منهم عبدَ الله، ابنَه، وهم سبعون رجلاً، وبقيت منهم طائفةٌ مُستمسكين ببيت المال، قالوا: لا ندفعه إليكم حتّى يقدم أميرُ المؤمنين، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيرا، فقتلهم صبرا»[8].

قال أبو مخنف: «فحدّثنا الصُّقْعُبُ بنُ زهير[9]، قال: كانت السبابجةُ القتلى يومئذ أربعمائة رجل، قال: فكان غدرُ طلحةَ والزبيرِ بعثمانَ بنِ حنيف أوّلَ غدرٍ كان في الإسلام، وكان السبابجةُ أوّلَ قومٍ ضُربت أعناقُهم من المسلمين صبراً. قال: وخيَّروا عثمانَ بنَ حنيفٍ بين أن يقيم أو يلحق بعليٍّ، فاختار الرّحيل، فخلّوا سبيلَه، فلحقَ بعليٍّ عليه السلام، فلمّا رآه، بكى، وقال له: فارقتُك شيخاً، وجئتُك أمردَ، فقال عليّ عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قالها ثلاثا»[10].

رَوَوا أنّه - عليه السلام - لمّا بلغَه - وهو بالرَّبَذَة - خبرُ طلحةَ والزبير، وقتلهما حكيمَ بنَ جَبَلَةَ ورجالاً من الشيعة، وضربِهما عثمانَ بن حنيف، وقتلهما السبابجة، قام على الغَرائر، فقال: إنّه أتاني خبرٌ متفظّعٌ ونبأٌ جليلٌ: أنّ طلحةَ والزبيرَ وردا البصرةَ، فوثبا على عاملي، فضرباه ضرباً مبرحاً، وتُرك لا يُدرى أحيٌّ هو أم ميّت، وقتلا العبدَ الصالحَ حكيمَ بنَ جبلةَ في عدّةٍ من رجال المسلمين الصالحين، لَقُوا الله موفون ببيعتهم، ماضين على حقّهم، وقتلا السبابجةَ، خُزّانَ بيتِ المالِ الذي للمسلمين، قتلوهم صبراً، وقتلوا غدراً. فبكى الناسُ بكاءً شديداً، ورفع أميرُ المؤمنين - عليه السلام - يديه يدعو، ويقول: اللهمَّ اجزِ طلحةَ والزبيرَ جزاء الظالم الفاجر والخفور الغادر»[11].

ومن كلامه عليه السلام حين دخلَ البصرةَ وجمعَ أصحابَه فحرّضهم على الجهاد، فكان ممّا قال: «عباد الله، إنهدُوا إلى هؤلاء القوم منشرحةً صدورُكم بقتالهم؛ فإنّهم نكثوا بيعَتي، وأخرجوا ابنَ حنيفٍ عاملي بعد الضّرب المبرّح والعقوبةِ الشديدة، وقتلوا السّيابجةَ، ومثّلوا حُكَيمَ بن جبلةَ العبديّ، وقتلوا رجالاً صالحين، ثمّ تتّبعوا منهم من نجى، يأخذونهم في كلّ حائط، وتحت كلّ رابيَة، ثمّ يأتون بهم، فيَضربون رقابهم صبرا»[12].

فقيل: «يا أمير المؤمنين! أخبرنا على ما قاتلتَ طلحةَ والزبيرَ؟ قال: قاتلتُهم على نقضهم بيعتي، وقتلهم شيعتي من المؤمنين، حُكَيم بن جَبَلَة العبديَّ، من عبد

القَيس، والسيابجةَ والأساورةَ، بلا حقٍّ استوجبوه منهما، ولا كان ذلك لهما دون الإمام...».[١٣]

الوقوف على الروايات المُخالفة

ويزعم سيفُ بنُ عمر في كتابه: «أنّ طلحةَ والزبيرَ قصدا المسجدَ بالرجال عند صلاة العشاء - وكانوا يؤخّرونها - فأبطأ عثمانُ بنُ حُنيف، فقدَّما عبد الرّحمان بن عتاب، فشهر الزطُّ والسبابجةُ السلاحَ، ثمّ وضعوه فيهم، فأقبلوا عليهم، فاقتتلوا في المسجد، فصبروا لهم، فأناموهم وهم أربعون، وأدخلوا الرجال على ابن حُنيف ليخرجوه...».[١٤]

ولا يخفى ما في هذا النصّ من هَنات..

فأوّلاً: إنّه يزعم أنّ ابنَ حنيف أبطأ؛ لكي يبرّر تقديمَ ابنَ عتاب، ويخرجَه عن دائرة المؤامرة والعدوان والغدر، مع أنّه يصرّح بما يدلّ على ذلك؛ إذ ذكر هو نفسه أنّ طلحةَ والزبيرَ قد جَمَعا الرجالَ وألبسوهم الدروعَ تحتَ الثياب، وذهبوا بهم إلى المسجد.

وصرّح باختيارهم ليلةً باردةً مظلمةً ذاتَ رياحٍ ونَدى.

فلولا أنّهما ينويان الغدر، فلماذا يجمعان رجالهما؟! ولماذا يختاران خصوصَ تلك الليلة المظلمة الباردة ذاتِ الرياح والندى؟! أليس لأجل أن لا يسمع الناسُ الضوضاءَ التي سيحدثونها، ولا يفطنوا لما يجري؛ لكي لا ينجدوا عثمانَ بن حُنيف في المسجد؟!

ثانياً: إنه قد نقض كلامه عن إبطاء ابن حنيف، واعتذاره المبطَّن عن تقديم ابن عتاب، بأنّ الناس كانوا يؤخّرون صلاةَ العشاء آنئذٍ... مع أن السؤال الوجيه هنا عن سبب تأخيرهم لصلاة العشاء!! ألا يعدُّ ذلك بلا وجه، بل الوجه هو تقديمُها؛ تحاشياً لاشتداد الظلام، وللبرد الذي سيعانون منه، وتفويتاً للراحة على أنفسهم، وتهاوناً أو افتئاتاً على أحكام الله؟!

ثالثاً: إذا كان الزطُّ والسبابجةُ قد شهروا السلاحَ ووضعوه فيهم بلا مقدّمات ولا سؤال ولا جواب.. مع أنّ المناسب هو الممانعةُ من تقديم غير الإمام الراتب!!

ولو أغمضنا النظر عن ذلك، فلماذا قُتل السبابجةُ كلُّهم دفعةً واحدةً، ولم يجرح ولم يقتل أو على الأقل لم يذكر أن أحداً من المعتدين قد قُتل أو جُرح؟! وكيف يُقتل الذين شهروا السلاح عن بكرة أبيهم، ولا يصاب أصحاب طلحة والزبير بما يستحقّ أن يشير إليه الرواةُ من جَرح أو قَتل.. مع أن المفروض أن السبابجةَ قد وضعوا سيوفَهم في الناس، فأين نتائج فعلهم هذا لو صحّ أنّهم قد فعلوا شيئاً من ذلك؟!

وهل أنامهم أصحابُ طلحةَ والزبيرِ بالرُّقية أو السّحر؟! أو بالتنويم المغناطيسيّ؟! أم أنّ الحقيقة هي أنّ طلحةَ والزبيرَ ورجالهَما قد غَدَروا بحرّاس المسجد، وقتلوهم بصورة مفاجئة، وحيث لم يكن لدى السبابجة سلاح؟! أم أنّ الأقرب هو أنّه لم يكن بمتناول أيديهم؛ لأنّهم كانوا لا يتوقّعون الغدر والفتك من هؤلاء المتظاهرين بالإسلام؟!

رابعاً: زعم سيفٌ أنّ ذلك قد حصل قبل صلاة العَشاء.. مع أنّ روايات غيره تتحدّث عن صلاة الفجر، وأنّ عثمانَ كان حاضراً، وأنّهم دفعوه عن الصلاة، وقدّموا الزبير، فدفع أصحابُه الزبيرَ، وقدّموه، واستمرّ التدافعُ حتّى كادت الشمس أن تطلع، فغلب الزبيرُ، فصلّى بالناس، ثمّ صاح بأصحابه المتسلّحين، فأخذوا عثمانَ، ونتفوا لحيتَه وشعرَ رأسه وكلَّ شعرة في وجهه.. وأخذوا معه سبعين رجلاً من السبابجة،

فأمرته عائشةُ، التي أُمرت أن تقرَّ في بيتها ـ مع أنَّ طبعَ النساء الرقّة وعدم الميل إلى الحرب والقتل والقتال ـ أمرته، بقتلهم، فقُتلوا[١٥].

الخاتمة

يتبيّن ممّا تقدّم، أنّ فتنة الجمل كانت من أخطر الفتن التي مرّت بالتاريخ الإسلاميّ بعد فتنة السقيفة؛ إذ أنّ هناك كثيراً من العوامل التي ساعدت على إعطائها الغطاء الدينيَّ، ومنها: خروج السيّدة عائشة وطلحة والزبير، وهم من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، وتبعهم الكثيرُ من الناس، وحصولهم على دعم ماديٍّ كبير، وتأييدٍ من بعض الولاة الذين خلعهم الإمام عليٌّ عليه السلام، لكنّ هناك الكثيرَ أيضاً من الذين وقفوا الى جانب الحقّ، ونصروه بأموالهم وأنفسهم، وكان للسبابجة الدورُ الكبيرُ في نصرة الحقّ، ولم يفرِّطوا بالمهمّة التي أوكلت إليهم، حتّى زَهَقَت أرواحُهم جميعاً، ويتبيّن من ذلك أنّ لهذه الأقوام التي دخلت في الإسلام نظرةً ثاقبةً استحقّت التبجيلَ والثناءَ من إمام زمانهم عليه السلام.

الهوامش

١- أي: يحرسونها.

٢- يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٤٣/٤.

٣-الفارابي، الصحاح، ١٩٧/١.

٤- الفراهيدي، العين، ٥٩/٦.

٥- يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ٤٦١/٢.

٦- المفيد، مصنفات الشيخ المفيد/ المجلد الأول، الجمل، ٢٨١.

٧- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/٣.

٨- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٢٠/٩-٣٢١.

٩- الصقعبُ بنُ زهير بن عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، الكوفي، أخو العلاء بن زهير، وخال أبي مخنف، لوط بن يحيى الأخباري.

روى عن: زيد بن أسلم (بخ)، وعبد الرحمان بن الأسود بن يزيد، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن مخنف ابن سليم الأزدي، والمهاجر بن صيفي العدوي أو العذري، روى عنه: جرير بن حازم، وحمّاد بن زيد (بخ)، وعباد بن عباد المهلبي، وعبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي، وابنُ أخته، أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي، وأبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، صاحب (فتوح الشام). قال أبو زرعة: ثقة. وقال أبو حاتم: شيخ ليس بالمشهور، وذكره ابنُ حِبّان في كتاب (الثقات). روى له البخاري في (الأدب) حديثا واحدا عن عطاء بن يسار.

١٠- ابو مخنف، كتاب الجمل وصفّين والنَهروان، ١١٩.

١١- المفيد، الكافئة، ١٧-١٨.

١٢- المفيد، الإرشاد، ٢٥٢/١.

١٣- المتقي الهندي، كنز العمال، ١٩١/١٦.

١٤- الجمل ومسير عائشة وعلي، ٢٩٤.

١٥- العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي، ٢٧٥/٢٨-٣٠٢.

١ - فيليب الكرمليّ: راهب فرنسيّ، ولد قرب مدينة أفينون



الشعرُ والشعراءُ في البَصرة خِلال القَرن الثالث الهجريّ

بقلم: أحمد النّجدي

إعداد: ياسين اليوسف

هذا المقالُ نُشر في العدد التاسع من مجلّة الأديب اللبنانيّة، بتاريخ ١/ سبتمبر/١٩٧٣م، ومجلّة الأديب مجلّةٌ شهريّةٌ ثقافيّةٌ - أدبيّةٌ، صدرت عام ١٩٤٢م، ولغاية عام ١٩٨٣م، والمقالُ عبارةٌ عن ملخّصِ بحثٍ كتبه المؤلّفُ عن الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجريّ، بإشراف الدكتور علي جواد الطاهر، ونال به شهادة الماجستير بامتياز من كلّيّة الآداب بجامعة بَغداد.

ويُعدُّ البحثُ من الدراسات المهمّة والقيّمة، التي تناولت الشعر والشعراء البصريّين في هذه الفترة، وقد تضمّن جهوداً نقديّة كبيرةً ومتميّزة.

نصّ المَقال:

يلاحظُ المتتبّعُ لما وُضع من دراسات عن شعر القرن الثالث الهجريّ، أنّ هذه الدّراسات تعتمدُ شعرَ المشهورين المجيدين من شعراء ذلك القرن، والذين لا يتجاوز عددُهم أربعةً أو خمسةً من الشعراء، وهي في هذا تنسى أو تتناسى عددا كبيراً من الشّعراء الذين لم تواتهم الفرص لنيل شهرة أولئك الأعلام.

وغيرُ خفيٍّ أنّ وضعَ تاريخٍ أدبيٍّ دقيقٍ لقرنٍ ما، يوجب دراسة نتاج أدباء ذلك القرن كافّة، دون الاقتصار على المشهور منهم، ومن ثمَّ كان من الأمانة العلميّة لتاريخ الأدب في القرن الثالث أن تُدرسَ مجموعاتٌ أخرى من شعرائه أهملها أو غفل عنها الدارسون. ومن هذه المجموعات: طائفةٌ من الشعراء البصريّين كوّنت أشعارُهم المادّة الأساسيّة لهذا البحث، الذي اشتمل على تمهيدٍ وتسعةِ فصول.

تناولتُ في التمهيد دراسةَ الأحوال العامّة للبصرة خلال القرن الثالث، فتكلّمتُ فيه بإيجاز على الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعقليّة، تاركاً التفصيلات الكثيرة ممّا لا عَلاقة له بالشعر واتّجاهاته.

ولمّا كان الشعراءُ الذين اعتمدتُ أشعارَهم مغمورينَ قديماً وحديثاً، وجدتُ لزاماً عليَّ التعريفُ بهم، والتطرُّقُ إلى مراحلِ حياتهم المختلفة، ممّا يفيدُ في فهم الاتّجاهات التي نظموا فيها، وقد استوعبَ هذا التعريفُ الفصلين: الأوّلَ والثانيَ من البحث.

أمّا الفصلُ الثالثُ، فقد درستُ فيه اتّجاهاً شعريّاً جديداً ظهر في البصرة خلال ذلك القرن، وهو شعر السّخرية، ولاحظتُ أنّ هذا الاتّجاهَ يعتمد التصويرَ التهكُّميَّ السّاخر في موضوعات مختلفة؛ قاصداً من هذا مقاصدَ عديدةً، منها ما كان للتسلية والترفيه، ومنها ما كان للنقد السِّياسيّ والاجتماعيّ.

وهذه الانواعُ المختلفةُ من شعر السّخرية تمثّل صفحةً مهمَّةً وطريفةً من صفحات أدبنا العربي القديم لم ينتبه إليها كثيرٌ من الدارسين.

وفي الفصل الرابع درستُ اتّجاهاً جديداً آخر هو شعر الشَّكوى، ولاحظتُ أنَّ هذا الاتّجاه بدا قويّاً واضحاً في القرن الثالث؛ نتيجةً للظروفِ القاسيةِ، وضياع المقاييسِ الصحيحةِ في تقويم الأفراد، وهو في نوعَيه الأساسيّين: الشكوى الخاصّة والشكوى العامّة، يقدّم لنا صوراً عديدة من صور الصّراع بين الإنسان والحياة، نلمحُ في بعضها التمرّدَ على القيم وبعضِ المعتقداتِ التي لا تتلاءم والرغبة الإنسانية في تحقيق العدل، كما يبيّن لنا هذا الاتّجاهُ مدى تفاعل شعرِنا القديمِ مع مشكلات الفردِ والمجتمعِ بطبقاته كافّة، وعدم اقتصاره على معالجة أمور القصور والملوك كما يدّعي كثيرٌ من الدارسين.

أمّا في الفصل الخامسِ، فقد درستُ ثلاثةَ اتّجاهات تلتقي في تيّار واحد هو تيّار اللهو والمُجون، وهذه الاتّجاهات هي: الخمريّاتُ، والمجونُ، والسُّخفُ. وقد لاحظتُ كثيرا من آثار الأحوال الاقتصاديّة والسياسيّة والعقليّة في هذه الاتّجاهات، وخصوصاً في شعر الخمر والمُجون. أمّا شعرُ السُّخفِ، فقد ظنَّ كثيرٌ من دارسي الأدب أنّه اتّجاهٌ جديدٌ وُجد في شعر القرن الرابع للهجرة، وقد توصلتُ في هذه الدراسة الى أنّه وُجد في البصرة خلال القرن الثالث بشكل متميّزٍ متكاملٍ كان أساسا لما شاع لدى ابن الحجّاج وطبقته في القرن الرابع.

وفي الفصل السادس درستُ شعرَ السياسة والعقيدة، فرأيتُ الى جانب الشعر السياسيّ المؤيِّد للسلطة العباسيّة شعراً آخر عبّر عن معارضة سياسيّة، اتّخذت من الثورة العنيفة وسيلةً لتحقيق غاياتها، يتمثّل فيما وصل إلينا من أشعارٍ لصاحب الزُّنج أبانَ فيها عن أسباب ثورته، وطبيعتها، وهاجمَ النظامَ العبّاسيَّ هجوماً مباشراً قلَّ أن نجد له نظيراً في الشعر السياسيّ العبّاسيّ.

أمّا شعرُ العقيدة، فلاحظتُ فيه تعبيراً عن بعض المسائل التي كثرَ جدالُ الفرق الاسلاميّة فيها، الى جانب بعض الأفكار التي تمثّل الاعتقادَ الساذجَ والتعصُّبَ المذهبيّ.

وفي الفصل السابع درستُ اتّجاهات أُخرى كان لها في الشعر البصريّ وجودٌ قليلٌ لا يشكّل بمفرده فصلاً خاصّاً به، وهذه الاتّجاهات هي : الزهدُ والإخوانيّاتُ، والحِكَم.

ففي الزهد لاحظتُ نماذجَ من الشعر تمثّلُ خَطَرات عامّة في الحياة أملتها قسوةُ الظروف كما يبدو، زيادةً على بعض الأشعار القليلة ذات الفلسفة الخاصّة في الزهد، وممّا يمكن عدُّه من أوائل شعر التصوُّف الاسلاميّ.

وفي شعر الإخوانيّات موضوعاتٌ عديدة يمكن أن تُعدَّ جديدةً في شعر ذلك القرن، ولها دلالتُها على تطوّرٍ مهمٍّ في العلاقات الاجتماعيّة. وشبيهٌ بها ما جاء من حِكَم ووصايا في الشعر، يؤكّد ناظموها الجانبَ الحسنَ من العلاقات الاجتماعيّة، ممّا يمكن أن يكون صدىً لاضطرابِ المقاييس، وفقدانِ العلاقات الحَسَنة في القرن الثالث.

أمّا الفصلُ الثامنُ، فقد درستُ فيه شعرَ الأغراض التقليديّة، من مدحٍ، وهجاءٍ، ورثاءٍ، وغزلٍ، ووصفٍ، وقد لاحظتُ الى جانب الاتّجاه التقليديّ في هذه الأغراض اتّجاهاً جديداً، يتمثّل في ظهور موضوعاتٍ وأساليبَ جديدةٍ في هذه الأغراض التقليديّة.

وفي الفصل التاسع درستُ الخصائصَ الفنّيّة للشعر البصريّ، وقد حاولتُ تبيُّنَ خصائص التقليد في هذا الشعر كما تبدو في بناء القصيدة والألفاظ والأساليب، ثمّ درستُ مظاهرَ الصّنعة الشعريّة، متمثّلةً في الصور البديعيّة، التي كانت من أهمِّ أركانِ الصنعة الشعريّة في العَصر العبّاسيّ، واعقبت هذا دراسةٌ للجديد في الأوزان والقَوافي.

هذا ما أستطيعُ أن أقولَه تلخيصاً لهذا البحث، الذي كلّفني كثيراً من الجهد والعَناء ؛ فمادّتُه شعراءُ مغمورون، إنْ ذُكروا بأسمائهم، فأسماؤهم تكادُ تكونُ مجهولةً، وإن ذُكروا بألقابهم وكناهُم، ازدادَ الأمرُ غموضاً، ولعلّ الذي خفّفَ من العناء الذي لاقيتُه فيه، ما أَخَذَ يظهر خلال البحث من أمورٍ جديدةٍ تصحّحُ أوهامَ بعضِ الدارسين المُحدَثين.

ولا ادّعي ندرةَ الخَطَأ والزَّلَل في هذا البحث؛ فتلك غايةٌ لا تنال، ولقد حاولت فيه ـ مخلصا ـ الاقترابَ من الصّواب، فإنْ وُفّقتُ لهذا، فهو ما أردت، وإن لم أُوفّق، فحسبي أنّني حاولتُ واجتهدتُ، وقلَّ من ابتعدَ عن الخَطأ وأدرك الصواب كلَّه.

كيفَ ومتى تشكَّل فريقُ منتخب البَصرة لكُرة القدم؟

بقلم: كريم علاوي



أوّل منتخب (كرة القدم) في البصرة

بعد احتلال القوّات البريطانيّة البصرةَ في آيار سنة (١٩٤١م)، في ذلك الوقت كان الموسمُ الرّياضيُّ في البصرة قدْ انتهى، وفي تشرين الأوّل من السنة نفسها (١٩٤١م)، عندما استقرّتْ الأمورُ وبردَ الجوُّ، بدأتْ القوّاتُ البريطانيّةُ تُفتّش عن ملاعبَ لتُجريَ عليها مباريات فرقها بكرة القدم، وبدأتْ في الوقت نفسه بتسوية السّاحات لفرقها، ومن فرقها - حينذاك - فريقُ الدّاكير في العشّار (أي.دبليو.تي)، وفريق السرَّاجي، وفريق (السّملا كامب)، وفريق الأسرى الإيطاليّين في المعقل، وفريق الانضباط في الجُبيلة، وفريق القوّات البريطانيّة في الشعيبة (بي.أو.دي)، وفريق القوّة الجوّيّة البريطانيّة في الشُّعيبة.


الاعدادية المركزية

أمّا الملاعبُ التي شيّدتها، فهي: ساحة (السّملا كامب) في المعقل، في مكان الهندسة المدنيَّة، قرب دُور الرّياضيّين، وهذه السّاحةُ للفريق الإنجليزي ولفريق الأسرى الإيطاليّين، الذين كانوا معتقلين هناك، وساحة الانضباط في الجُبيلة، بجانب سوق الجُبيلة، باتجاه المعقل، وشَيّدتْ في الشّعيبة ملعباً بمدرَّجات قليلة بجانبٍ واحدٍ يُسمَّى (ملعب بي.أو.دي)، وملعب القوّة الجويّة البريطانيّة في الشعيبة؛ إذْ جعلوا من صناديق الخشب التي تجلبها الطائرات مدرّجات للملعب، وحينذاك أخذت تلك الفرق تتّصل بإدارة الثانويّة -الإعداديّة المركزيّة حاليّاً- لإجراء مباريات مع فريق المدرسة على ساحة المدرسة، وإجراء مباريات بين الفرق البريطانيّة على ساحة المدرسة -أيضاً- وفي هذه السنة (١٩٤١م)، لم يكن فريق الثانويّة بالمستوى المطلوب، فلم يكن على استعداد لمقابلة تلك الفرق.

وبالمناسبة، فالحكومة البريطانيّة أشركتْ الرّياضيّين في الحرب أسوةً ببقيّة مواطنيها، ولكن، في الوقت نفسه، أبعدتهم عن مناطق القتال؛ للحفاظ على حياتهم، فأرسلتهم إلى العراق وإيران ومصر، وغيرها من الدول البعيدة عن مناطق القتال.

وفي سنة (١٩٤٢م) عُيّن الأستاذ (حمّودي البدر) مدرّساً للرّياضة في الثانويّة، وكان (حميد مجيد) رئيساً لفريقها؛ وللعلاقة بينهما -لأنَّهما كانا لاعبين في الثانويّة- بدأ النشاط يظهر، فشكَّلا فريق الثانويّة من: (زكي الهوّاز لحماية الهدف، وحميد مجيد، ومهدي محمّد صالح، وقسطنطين سمعان، وخضير جميل،



وكريم علاوي، وعبد الرزاق المنديل، وسامي فيّاض، وحميد سامر، وحسين مرزة، وإسماعيل البجّاري، وصبحي محمّد زكي)، وبعد ذلك سعى (حميد مجيد) من أجل تشكيل فريق أقوى من فريق الثانويّة؛ لمقابلة الفرق البريطانيّة؛ ولزيادة نشاط اللّعبة في البصرة، فشكّل (فريق النصر) من: (زكي الهوّاز لحماية الهدف، وحميد مجيد، ومهدي محمّد صالح، وشاكر إسماعيل، وصبيح درويش، وكريم علّاوي، وسعيد يشوع، وقسطنطين سمعان، وصالح الشّيخ خزعل، وعبد الزّهرة شبيب، وخالد إسكندر، وجميل شمو، وخضير جميل، وعبد المسيح يعقوب).

وبعدها شُكِّل الفريق البصريّ من: (مصطفى حميد لحماية الهدف، وحميد مجيد، ومهدي محمّد صالح، وشاكر إسماعيل، وصبيح درويش، وكريم علّاوي، وجاسم بدر، وكريم جابر، ومحمّد الهواز، وعزيز الهزّام، ومايكل ستالني، وسعيد يشوع، ومحسن فرج، وإنشوان مراديان، وصبحي محمّد زكي)، وكان (المستر ستانلي)، والد اللّاعب (مايكل) مديراً لسكك البصرة، وعلى معرفة كبيرة بالفرق البريطانيّة التي تلعب في بريطانيا قبل الحرب، وعن طريق ابنه (مايكل) جرى اتصال مع (حميد مجيد)، المسؤول الفنّي ورئيس الفريق، وبعد عملهما مع الفريق البصريّ لفترة قصيرة، قاما بتشكيل فريق (منتخب البصرة) من: (مصطفى حميد لحماية الهدف، وحميد مجيد، وجاسم بدر، ومهدي محمّد صالح، ومحمّد الهواز، وشاكر إسماعيل، وكريم علّاوي، وصبيح درويش، ومحسن فرج، وكريم جابر، وإنشوان مراديان)، ولعب فترة قصيرة لحماية المنتخب (كريم حمّودي)؛ وبسبب وجود (المستر ستانلي) تغيّرتْ الأمور نحو الأحسن، وزاد عدد الفرق التي تلعب مع المنتخب على ساحة



لاعبو البصرة، من اليمين إلى اليسار، الواقفون: (المرحوم محسن فرج، المرحوم مهدي محمّد صالح، وسعيد شيوع، والمرحوم حميد مجيد، والمرحوم كريم جابر، وشاكر إسماعيل، ومايكل ستانلي)، والجالسون: (المرحوم علوان حسين، والمرحوم صبيح درويش، والمرحوم مصطفى حميد، وكريم علاوي).

الثانويّة وعلى ساحات تلك الفرق، وأخذتْ المباريات تُجرى على ساحة الثانويّة كلّ يوم سبت وأربعاء، وكان حضور الجمهور يُلفتُ النظر؛ لكثرته، فتجد الجمهور حتّى على سطح الثانويّة وسطوح دور السّكن التي تحيط بالمدرسة، التي تحضرها العوائل الصّديقة لأصحاب تلك الدّور، ثمّ لعب للفريق: (ألفريد سمعان)، و(طارق خليل)، واستمرّتْ المباريات بهذا النشاط الأسبوعيّ الكبير حتّى سنة (١٩٤٥م)، عندما انتهتْ الحرب العالميّة، وتقرَّر سحب القوّات البريطانيّة من العراق، وجرتْ آخر مباراة بين منتخب البصرة ومنتخب القوّات البريطانيّة على ساحة الثانويّة، وحضرها كبارُ المسؤولين العراقيّين، وكبار قادة الجيش البريطانيّ، وعددٌ كبيرٌ من مُشجّعي الفريقين، وكانتْ المباراة لمنفعة الصّليب الأحمر البريطانيّ، وانتهتْ المباراة بفوز منتخب البصرة بهدف.

لعب لفريق منتخب البصرة: (مصطفى حميد لحماية الهدف، وحميد مجيد، ومهدي محمّد صالح، ومحسن فرج، وسعيد يشوع، وكريم علّاوي، وشاكر إسماعيل، وصبيح درويش، وكريم جابر، ومايكل ستالني، وعلوان حسين)، وبعدها توقّف نشاط المنتخب.



محمّد جبّار المعيبد (١٩٣٧-٢٠٠٠م) وسماته التحقيقية

إعداد: محمد صالح عبد الرضا

كان أوّلُ لقاءٍ لي بالرَّاحل الدّكتور (محمّد جبّار المعيبد)، وأنا على أحد مقاعد الدّرس في إعداديّة الجاحظ في البصرة؛ إذ تتلمذتُ على يديه بين عامي (١٩٦٥و ١٩٦٧م)، وكنتُ أرى فيه الأستاذ الجادّ الملفت للانتباه بعلمه وتمكّنه في اللّغة العربيّة وآدابها، يشجِّعُ كلّ طالبٍ يجد عنده نزوعاً أدبيّاً، فقدْ زرع في نفسي البذرة الأولى في تحبيب العربيّة، وأعزو الفضل في دراستها إلى هذا الأستاذ الضّليع، الذي لن أنسى فضله وفضل أساتذة أجلّاء آخرين كانوا يُفيضون عليَّ وعلى زملائي من مودّةٍ وعلمٍ ما جعل الشّوق إلى الأدب واللُّغة متوهِّجاً في نفوسنا، فصارت المطالعات الأدبيّة تفتح لدينا شهيّة عارمة إلى دروس توسِّع آفاق معارفنا في علوم اللُّغة والأدب، وقدْ كانت محاضراته مصدرَ إلهامٍ زاخرٍ لنا.

في أوائل السَّبعينيّات كنّا نلتقيه أنا وزميلي الشّاعر (شاكر العاشور) في منزله في محلّة القطّانة، ثمّ في محلّة السّاعي، وكان العاشور متطلّعاً لتحقيق التُّراث والاطلاع على مخطوطاته، وقدْ أفاد من علمه ومن مكتبته الحافلة بالكتب التّراثيّة النادرة، فقدْ جمعتنا به أحاديث الأدب واللّغة، وكنّا نذهل لذاكرته العجيبة التي تردِّد آلاف المخطوطات، وصرتُ بعد حين أحتفظ بالرّسائل التي كان يجيب فيها عن استفساراتي في ميدان التراث الأدبيّ.

ولد المعيبد في البصرة بتاريخ (١٩٣٧/٢/٢٥م)، ونال البكالوريوس في كلّيّة الآداب بجامعة بغداد عام (١٩٦٠م)، والماجستير في الكلّيّة نفسها عام (١٩٧٣م)، والدّكتوراه من جامعة أدنبرة، وانتقل إلى التدريس الجامعيّ عام (١٩٧٦م)، مدرِّساً في قسم اللّغة العربيّة بكلّيّة التربية، رسالته للماجستير كانت بعنوان: (أبو عمر الزّاهد، حياتُه وآثاره ونهجه اللّغويّ)، وأُطروحته للدّكتوراه كانت بعنوان: (صوت الضّاد، دراسة صوتيّة تاريخيّة)، ولديه من الكتب المحقّقة ثمانية، ومن الرسائل اللّغويّة التي حقّقها خمس، كما نشر كثيراً من أبحاثه ومقالاته، ومن أهمّ الكتب التي حقّقها دواوين الشّعراء: (عديّ بن زيد العباديّ، وطهمان بن عمر الكلابيّ، وإبراهيم بن هرمة، والخريميّ).

ومن الرّسائل اللّغويّة (العسل والنّحل) لابي حنيفة الدِّينوريّ، والمقصور والممدود، لأبي عمر الزّاهد، ويوم وليلة، لأبي عمر الزّاهد أيضاً، والسِّلاح، للأصمعيّ، وبغية المرتاد لتصحيح الضّاد للمقدسيّ، ونشر كذلك بحوثه في الدّراسات الصّوتيّة والمعجميّة في مجلّات: (المورد، وآداب الرافدين، و كلّيّة التربية)، و مجلّتي مجمع اللّغة العربيّة في الأردن ومعهد المخطوطات العربيّة في الكويت، وهي تتجاوز العشرين بحثاً، وصدر له في بغداد عام (٢٠٠٢م) بعد وفاته بتحقيقه كتاب الأمثال للأصمعيّ. وبين أوراقي حوار كنتُ أجريته معه عام (١٩٧٤م)، ونُشر في مجلّة (البيان) الكويتيّة عن تحقيق التراث العربيّ ودوره في حاضرنا والمستقبل، أنقل منه هذه الفقرات:

-ما رأيك بحركة تحقيق التّراث العربيّ المعاصرة في وطننا العربيّ؟

ج/ حركة التحقيق المعاصرة إذا أردنا قياسها بما حُقّق ونُشِر قبل ربع قرن أثْرت المكتبة العربيّة، وقدَّمت الكثير من الكتب التي كانت بعيدة عن متناول الباحثين والدّارسين، والكثير منها كان يُعدُّ ممّا فُقِد، أمّا إذا أردنا قياسها بما هو موجود من هذا التّراث، فهذا يعني حرمان أكثر من جيل من الأجيال القادمة من الاطلاع على هذا التّراث والكشف عن الجوانب المضيئة في ثقافتنا العربيّة.

س/ ما السِّمات الحقيقيّة للمحقِّق المجيد، وما هي أدواته التي يجب أنْ يمتلكها؟

ج/ التُّراث أمانة في أعناق مَن وصل إليهم، والمحقِّق ألصق من غيره بهذا التّراث، فلابدَّ من أنْ يتحلَّى بالصِّدق والغيرة عليه، يؤدِّيه كما وصل إليه، وهذا يقتضي منه التّعب والنّصب والحَذر والاستعداد، فلابدَّ من أنْ يتهيَّأ للموضوع الذي يروم تحقيقه، سواء كان شعراً أم لغة أم تاريخاً أم فلسفة، ومن النادر أن تجد محقِّقاً يُقدم على تحقيق ما يقع بين يديه من مخطوطات من دون الإحاطة بنسخها، ومن جوانب هذا الاستعداد معرفته التامّة بفهارس المخطوطات

في المكتبات العامّة والخاصّة في الشّرق والغرب، كما لا أنسى الخبرة بقراءة المخطوطات، ومعرفة الخطوط، مع الاطلاع الوافي على اللُّغة العربيّة وفقهها.

س/ يعتقدُ بعضُهم أنّ عمليّة التّحقيق ميكانيكيّة، تخلو من الإبداع، فما تقول أنت؟

ج/ يعتقد هذا الاعتقاد مَن لا صلة له بالتّحقيق، ومَن لم يعتمد في دراسته وأبحاثه على مخطوط من المخطوطات التي كُتبت قبل مئات السِّنين، ويعتقده مَن لم يُعانِ قراءة هذه المخطوطات التي تحتاج إلى خبرة ودراية في خطوطها ومادَّتها، والكثير منها أشبه بالطَّلاسم والرُّموز.

وبعد، فحين أذكّر بحنان أُستاذي المعيبد لا أكون مغالياً إذا قلتُ: إنّه أسهم إسهاماً إيجابيّاً في إيقاظ حسِّي الأدبيّ من خلال صداقة نقيّة فكريّة وروحيّة، فقدْ كان مثالاً إنسانيّاً حيّاً على مدّ الجسور وتبادل المعرفة والتعاون من نبع شخصيّته النّاضجة وثقافته التراثيّة المتميّزة. كان متزن التفكير يدين بالإنسانيّة في صميم وجدانه، وينبض فؤاده بنبضات السِّيرة والسَّريرة الطيِّبتين.

كنّا إذا لقيناه تفتَّحت نفسه في نفوسنا، وأفاض من روح الدّعابة على حديثه، يعيش عيشة فكريّة وروحيّة خالصة، ولم يقبس من بيئته البصريّة إلّا ما اتّسق وهذا النزوع، يؤمِّن الصِّلة بين أسباب التقدّم وأسباب أصولنا المعرفيّة على ألّا يتحوَّل هذا الموروث إلى صنمٍ متحجِّرٍ أمامنا، أو نحرق البخور له، فالتُّراث حسب فهمه حركة متجدِّدة مشعَّة مضيئة في الأجيال إذا أردنا ذلك.

وكان التُّراث الأدبيّ الإسلاميّ والعربيّ بجاهليّته وعهوده الإسلاميّة المختلفة عصوراً ورُقَعاً جغرافيّة مخزونه الذي لا ينفد، يغوص في كتب التّراث القديمة غوص البحَّار المتيَّم بالأصداف بعيدة الغور، فقدْ أطال البحث في كُتُب السِّيَر والتّراجم وتقصِّي أسفار التّاريخ والطّبقات، فتراه يجد أحياناً تشابهاً بين كتابٍ وآخر؛ لأنّ الكثير من نصوص الكتابين تكادُ تكون متّحدة، والأخبار مشتركة، ما يحمل على الظنّ إلى أنْ يقولَ لك: إنّ مؤلِّفيهما واحد، أو إنّهما كتابان أُخِذا من أصلٍ مشترك.

يستبدُّ به الشّوق في أحايين كثيرة للبحث في المراجع والمصادر عن تراجم شعراء أو مؤلِّفين، فإنْ لم يجد فيها ضالَّته يؤشِّر هفواتهم، وكان لديه أكثر من خمسين دفتراً مسوَّدة، يستدرك فيها على محقِّقين، وكلمات بها حاجة إلى الإيضاح من منظوم ومنثور، أو ملاحظات عن نفائس المخطوطات.

ويعرف المطّلعون على تحقيقات المعيبد كيف أتقن هذا الرّجل تحقيق التُّراث بشروطه العلميّة المنهجيّة الصّارمة التي تستدعي العلم والإحاطة بموارده، وهو يملك آلته وأداته ومادَّته، حتّى إنّه كان يستخفّ بالذين ينسخون ويمسخون، فتظهر إلى النّاس كتب الأوّلين الأجلّاء تشكو إلى الله من ضيم النّاسخين والماسخين، الذين يسمّون أنفسهم (محقِّقين)، وكان معجبا بالمحقِّقين الحاذقين، من أمثال: المرحوم عبد العزيز الميمنيّ الراجكوتيّ، بحيث كان يردِّد قوله في تحقيق إحدى المخطوطات التي صادفته فيها جملة مطموسة، فقال عنها الميمنيّ: طمسها البلل، وقرأها الميمنيّ.

وكانت للمرحوم المعيبد عناية على نحو خاصٍّ بمعرفة تطوّر الخطّ العربيّ وألوانه عبر العصور المختلفة،

وبخاصّة المخطوطات التي وصلتْ إلينا في رسم يتعسَّر تعيين ملامحه إلّا على يد خبير مقتدر، وبعضها عدَت عليه الأرضة أو الرّطوبة، فتآكلت هوامشه، وتمزّق جانب منه، وتطلَّب رأب صدعه معاناة وصبراً.

– وبعد أنْ كتبَ رسالته للدّكتوراه في صوت الضّاد، قلتُ له مرّة: ما الذي دعاك إلى هذه الموضوعة؟

– فقال لي: حسبك ما قاله الأصمعيّ: «تتّبعتُ لغات العرب كلّها، فلم أجد أشكل من الفَرق بين الضّاد والظّاء»، وقال صاحب العين: «إنّ إتقان الفصل بينهما واجب»، لقد امتلك المعيبد قدرة فائقة على البحث اللّغويّ والاستنتاج، وكان يُعين على كلّ ذلك ذكاء لمّاح، واطّلاع واسع، لكنّه لم يستثمر كثيراً هذه الطاقة لديه، بل استحوذتْ عليه قضايا التحقيق؛ لما فيها من استيعاب وإحاطة.



عام (٢٠٠٠م) رحل عنّا هذا المحقّق القدير من حفدة الخليل والأصمعيّ وروّاد المربد والمسجد الجامع، تاركاً أسىً عميقاً في نفوسنا، وتراثاً يعتزُّ به الجميع، وطلّاباً جعلوا ذكره مقترناً بالثّناء والتّرحّم، أُستاذاً مجيداً، ومحقّقاً بارعاً، وباحثاً تراثيّاً مرموقاً.

رحم الله أستاذنا(أبا حيدر)، ففي أعناقنا دينٌ كبيرٌ له يستحقُّ منّا كلَّ الوفاء، رحمه الله، وأغدقَ عليه مِن رضوانه ما تطيبُ به روحه الطّيِّبة.

خُوّان وَكِلْ حِلّان؟!

خُوّان: بضمّ الخاء وتشديد الواو، بمعنى: إخوان، جمع أخ.

الحِلّان: بكسر الحاء وتشديد اللام: ما يحلّ للأكل أو نحوه، أي: ما يُتّخذُ حلالاً، وبضمّ الحاء: ما يشتقّ عنه بطنُ أمّه، فيخرجُ، وهذا أقرب الى المعنى المقصود؛ إذ تُشقُّ الحلّانةُ، فيُخرجُ منها التمرُ، والمتعارف عليه في الألوية الجنوبيّة، هو أنّ الحِلّان أكياسٌ من خوص النّخيل، يُكبس فيها التمرُ، وواحدتها - حِلّانة - وفي البصرة يسمونها (نصفيّة)، ويصغّرونها فيقولون: «نصيفيّة»، ويقصدون بها نصفَ المنّ، والمنُّ ستّون حُقّةً، أو (٧٥) كيلو غراماً، ويسمّون الكيسَ من الخوص خِصّافاً، وهو مأخوذ من الخَصْف؛ وذلك لأنّهم يَخصِفونَه إذا كُبس فيه التمرُ، أو لعلّ المعنى مأخوذٌ من التحليل، وهو جواز أكل كلّ شيء.

المعنى: أنحنُ أخوةٌ ويأكلُ أحدُنا مالَ الآخر أو تمرَه تجاوزاً؟!

ويُضرب لمَن يستغلُّ الأخوّةَ أو الصداقةَ ليأكلَ حَقَّ أخيه أو صديقِه.

الخِطّار رِزگَه وِيّاه

وِيّاه: بكسر الواو وتشديد الياء: وإيّاه، مَعَه.

الخِطّار: يلفظونها بكسر الخاء أو ضمها: الضيف وهي من الخطّار: مبالغةً في الخطّار، مِنْ خَطَّر في مشيته، أي: مشى وهو يرفع يدَيه ويضعُها، وهي صفةُ الضيف وهو يقبل على المضيّف بحيرةٍ وتردُّدٍ والدروبُ تتقاذفُه.

فالتسميةُ مجازيّة، وجمع الخَطّار بفتح الخاء خُطار بضمها، وخَطّارون.

المعنى: رزقُ الضّيف مَعَه؛ لأنَّ اللّه قدّرَ أرزاقَ الناس، فهو لا يأكل من مال المضيّف إلّا لأنّ اللّه جعلَ له فيه رزقاً، فيجب أن لايضيقَ أحدٌ بالضيف؛ لأنّ اللّه قد تكفّل برزقه.

يُضرب لمن يعرِضُ عن الضّيف، أو يتثاقلُ منه.

خُوَّتُهُم لِرِكْبَتِهُم

خُوَّتُهُم: أُخوّتُهم، صداقتُهم.

لِرِكْبَتِهُم: الى ركبتهم، الى ركبهم.

المعنى: ليس لهم وفاءٌ، ولا لصداقتهم وأخوّتهم دوام، بل مَثَلُ هذه الصداقة والأخوة بينهم كمَثل الملابس القصيرة، التي تكاد تبلغ الرُّكَبَ، وسرعان ما ينضّونها، أو هي كالمخاضة الضّحلة، التي لا يكاد يصلُ الماءُ فيها الى رُكبة الخائض فيها، ثمَّ سُرعان ما يخرجُ منها.

يُضرب لقليلي الوَفاء، المتنكّرين للأصدقاء والإخوان.

قال عليه السلام: «الإخوانُ صِنفان: إخوانُ الثقة، وإخوانُ المُكاشَرَة، فَأَمّا إخوانُ الثِّقَة، فَهُمُ الكَفُّ، والجَناحُ، وَالأَهلُ، وَالمالُ. فَإذا كُنتَ مِن أخيكَ عَلى حَدِّ الثِّقَة، فَابذُل لَهُ مالَكَ وبَدَنَكَ، وصافِ مَن صافاهُ، وعادِ مَن عاداهُ، وَاكتُم سِرَّهُ وعَيبَهُ، وأظهِر مِنهُ الحَسَنَ. وَاعلَم أيُّهَا السّائِلُ أنَّهُم أقَلُّ مِنَ الكِبريتِ الأَحمَرِ.

وأمّا إخوانُ المُكاشَرَةِ، فَإنَّكَ تُصيبَ لَذَّتَكَ مِنهُم، فَلا تَقطَعَنَّ ذلكَ مِنهُم، ولا تَطلُبَنَّ ما وَراءَ ذلكَ مِن ضَميرِهِم، وَابذُل لَهُم ما بَذَلوا لَكَ مِن طَلاقَةِ الوَجهِ وحَلاوَةِ اللِّسانِ»[1].

وقال عليه السلام: «لا عليكَ أن تَصحبَ ذا العقل وإن لم تَحْمَد كرمَه، ولا تَدَعنّ صُحبةَ الكريم، وفُرَّ كلَّ الفرار من اللئيم الأحمق»[2].

وقال عليه السلام: «لا تَصحَب المائقَ؛ فإنّه يزيّن لك فعلَه، ويودُّ أن تكون مثلَه»[3].

١- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي:١٥/٥٦٥.

٢- مستدرك نهج البلاغة: هادي كاشف الغطاء:١٧٢.

٣- نهج البلاغة:٤/٧١، والمائق هو الأحمق.



رحلة الأب فيليب الكرملي إلى البصرة

د. حسين المصطفى

تُعدُّ رحلة الأب (فيليب الكرمليّ)[1] من أقدْم الرّحلات، التي توجد فيها معلومات جيّدة عن العراق، في النصف الأوّل من القرن السّابع عشر، وأطلق عليها اسم (الرّحلة الشرقيّة)، وكان سبب سفره إلى البصرة قيام الحرب بين العثمانّيينَ والفرس في سنة (١٦٣٠م)، وكان في أصفهان التي وصلتها جحافل الجيوش العثمانيّة، فتقرّر أنْ يغادر بعض الرُّهبان إلى البصرة، وكان الأب

(فيليب) منهم، فغادرها عن طريق البحر، وقدْ كانت سفرتُهم مضنية، وكادتْ سفينتُهم تغرق، ونفدتْ مؤونتهم، وعندما اقتربوا من الشّاطئ، ولعلّه بدايات نهر شطّ العرب من جهة الجنوب، استقبلهم أهالي المنطقة بزوارقهم[٢]. ووصف هذا المشهد بصورةٍ بديعةٍ، بقوله: «يُقدِّمُ عرب البصرة ضيافةً لامثيل لها نحو الغرباء، بكرمٍ ولطفٍ عاليين، وهذا ما حدث لي ولرفاقي عندما قدِمنا إليها بحراً من فارس، ونفدتْ مُؤنتنا، وكِدنا أنْ نموتَ جوعاً وعطشاً، وما أنْ وصلنا إلى أحد قراهم، حتّى قدَّموا لنا خبزاً ولبناً وتمراً، وكلَّ ما عندهم في ذلك الموسم، وعندما أكلنا وشبعنا، طلبنا منهم المزيد على سبيل الشّراء، فأعدُّوا لنا كلّ ما طلبنا، ورفضوا رفضاً باتّاً استيفاء ثمن ما قدّموه لنا، وقالوا باعتزاز: «إنّ الضّيافة واجبة لكلِّ عابر سبيل أيّاً كان، وإذا أردتُ أنْ أقدِّم شيئاً لقاء ذلك، فعند خروجي أعطيتُ مقدْاراً من المال بيد الأولاد، ولم تكن هذه الحادثة وحيدة، بل صادفتنا أكثر من مر»[٣].

وعند وصوله إلى البصرة في (١٥ تمّوز١٦٣٠م)، نزل في دير الآباء الكرمليّينَ، وبقي فيه خمسة عشر شهراً؛ ليتعلّم اللّغتين العربيّة والفارسيّة. وفي هذه السّنة حدثت مشكلة بين حاكم شيراز الفارسيّ، وبين والي البصرة، عندما هرب شابّ نصرانيٌّ كان أسيراً عند حاكم شيراز(إمام قلي خان)، وقدْ أوفده الأخير في مهمّة خاصّة إلى الحُويزة القريبة من البصرة، إلا أنّ الشّابَّ انتهز الفرصة وهرب إلى البصرة للتخلّص من العبوديّة، ونزل في دير الكرمليّينَ، ولمّا علم حاكم شيراز بذلك أرسل إلى والي البصرة يطلب منه إعادة الشابِّ النصرانيِّ، وكانتْ علاقة والي البصرة (علي باشا أفراسياب) حسنة مع الآباء الكرمليّينَ في المدينة، فدعاهم وطلب إحضار الشابّ، وفي الطريق خطفه رجالُ الباشا، إلا أنّ آباء الدّير قاموا بزيارة لاحقةٍ للباشا، ورافقهم تاجرٌ برتغاليٌّ غنيٌّ، ومعه هدايا معتبرة للباشا، فلبّى الباشا طلبهم وسلّم الشابَّ إليهم[٤]، وبيَّنَ الرّحّالة (فيليب) أنّ الشّابَّ النصرانيَّ كان مكلّفاً بإيصال رسالةٍ إلى والي البصرة، طالباً منه تسليم قِطع الأسطول البرتغاليّ الموجودة في البصرة، والمؤلَّفة من خمس وعشرين سفينة؛ شرطاً لعقد السّلام مع البصرة؛ لأنّ الفرس كانوا بأمسِّ الحاجة إليها؛ بسبب قلّة السُّفن الصّغيرة الصّالحة للقتال عندهم، وعندما عرف البرتغاليّون بذلك أسرعوا في تحميل مراكبهم بالتمور في شطِّ العرب، وأقلعوا نحو البحر (الخليج العربي)[٥].

وخلال مشاهداته في البادية -في طريق سفره- يذكر أنّ الأعراب فيها يقومونَ بجمع (الكمأ)[٦]، ويحملونه إلى البصرة، ويُباع فيها بأسعارٍ بخسة، ويشتريه البرتغاليّونَ ويتاجرونَ فيه؛ إذْ يُستعمل دواءً، وتستغرق السّفرة من البصرة إلى حلب مدّة شهرين[٧].

وفي وصفه البصرة، يقول عنها: إنّها مدينة واسعة، تبعد نحو ميل عن النهر [أي: نهر شطّ العرب]، ويتفرّع منه فرعٌ كبيرٌ [نهر العشّار] يمرُّ حول أسوار المدينة[٨]، وهي كثيرة الخيرات، وتأتيها البضائع من الهند، وفيها من الفواكه(العنب، والتفّاح، والرّمّان)، ويكثر النخيل فيها، وهو على مدّ البصر، في جميع الجهات، كما يوجد فيها الرُّز، أمّا القمح، فيُجلب من

بلاد فارس، وتقوم السُّفن البرتغاليّة بجلب البضائع الهنديّة إلى البصرة، ثمَّ تعود محمَّلةً بالتّمور والفواكه على أنواعها، والسّجّاد والجِياد العربيّة الرائعة[٩].

وفي وصفه مجتمع البصرة، بيَّنَ أنّ معظم سكّانها عرب، وفيها أتراك مِنَ العسكريّين، أمّا الفُرس، فيفِدون إليها من أجل التجارة، ويُطلِق الأهالي عليهم لقب (الأعاجم)؛ لذا نجد أنّ اللّغتين التركيّة والفارسيّة منتشرتَان في المدينة[١٠]، وفيها مِن النصارى عدّة طوائف، منها: الأرمن، والنّساطرة[١١]، واليعاقبة[١٢]، وهناك طائفة الصّابئة المندائيّينَ، ويسمِّيها الرّحّالة الأوربيّونَ باسم نصارى (القدِّيس يوحنّا)، ولكنّ الأب (فيليب الكرمليّ) يُصحِّح ذلك، ويقول: إنّهم ليسوا نصارى[١٣].

وفي معرض كلامه عن الوضع السّياسيّ في البصرة، أوضح أنّ علاقة والي البصرة، ويُسمِّيه (الباشا)، مع النصارى فيها جيّدة، وتضمّنتْ زيارته للدّير إعطاء الهدايا للآباء فيه، وأشار إلى نيّة (الباشا) نقل مدينة البصرة إلى ضفّة نهر شطّ العرب، الذي يُسمِّيه خطأً (شطّ الفرات)، وفعلاً قام ببناء قلعتين جميلتين هناك، وأسوار ودور كثيرة، وحفر حولها خنادق عريضة وعميقة[١٤].

الهوامش

سنة (١٦٠٣م)، اسمه الحقيقيّ أسبري بوليان، وعند دخوله دير الكرمليّين في ليون، بدّل اسمه إلى فيليب الكرمليّ، نُسِّب للعمل في بلاد فارس، قدم إلى العراق عن طريق حلب سنة (١٦٢٩م)، أثناء الحرب الفارسيّة – العثمانيّة، انتقل إلى البصرة، ومنها أبحر إلى الهند، له مؤلّفات تاريخيّة ودينيّة، منها رحلته المسمّاة (الرّحلة الشرقيّة). للمزيد من التفاصيل، يُنظر: مقدّمة المترجم، بطرس حدّاد، ضمن كتاب، رحلات إلى العراق، ترجمة وتعليق: بطرس حدّاد، جمع وتقديم: وسن حميد محيميد، بغداد،٢٠١٣م، ص٤١-٤٢.

٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٣.

٣- المصدر نفسه: ص٥٧.

٤- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٨.

٥- يُنظر: المصدر نفسه.

٦- الكمأ: نباتٌ ينمو في البرّ، يُشبه البطاطا، ولكن بدون أغصان وأوراق، يستخدمه النّاس للغذاء.

٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٠.

٨- وصف غير دقيق للنهر؛ لأنّ هناك نهران يطوِّقان المدينة، هما نهر الخورة، ونهر العشّار، والبعد بين نهر شطّ العرب ومركز المدينة هو (٥) كيلو مترات، أي ما يعادل (١٢) ميلاً أوربيّاً.

٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٢.

١٠- يُنظر: المصدر نفسه.

١١- النّساطرة: النّسطوريّة، نسبة إلى (نسطور) بطريرك القسطنطينيّة، الذي عارض تعاليم مجمع أفسس سنة (٤٣١م) حول لاهوت العذراء مريم، واستنكر تلقيبها بـ(أمّ الله)، وفضّل دعوتها بـ(أمّ المسيح)، فحرّم المجمع برئاسة بطريرك الإسكندريّة ممثّل البابا (سيليستينوس الأوّل)، فتمّ نفيه إلى البتراء في بلاد العرب سنة (٤٣٦م)، وتوفّي سنة (٤٥١م). انتشرت تعاليم هذه الكنيسة وحركتها التبشيريّة في جزيرة العرب والهند وتركستان والتبت حتّى الصّين. للتفاصيل، يُنظر:
(www.ebnmaryam.com/vb/t190244.html)

١٢- اليعاقبة: نسبة إلى مؤسّسها يعقوب البرادعيّ، وأكّدت تعاليمها على الطبيعة الواحدة للسّيد المسيح عليه السلام، وقالوا: إنّ المسيح عليه السلام أقنوم واحد، إلا أنّه من جوهرين، وربّما طبيعة واحدة من طبيعتين((. المصدر نفسه.

١٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٢.

١٤- يُنظر: الكرملي: ص٥٢، وكلامه حول نقل المدينة إلى ضفّة شطّ العرب الغربيّة غير دقيق؛ إذْ إنّه بنى قصرين للاستجمام على ضفّة شطّ العرب في منطقة المنّاوي، ولم يسوِّرهما، بل كان السُّور لمركز المدينة كلّها. يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص٧٥

١ – من مقالة للأستاذة أنسام محمد الحسيني، بعنوان (الإنتصار للخواص من الحريري – الدلالة أنموذجا)، منشور في



نهر العشار ١٩٤٤



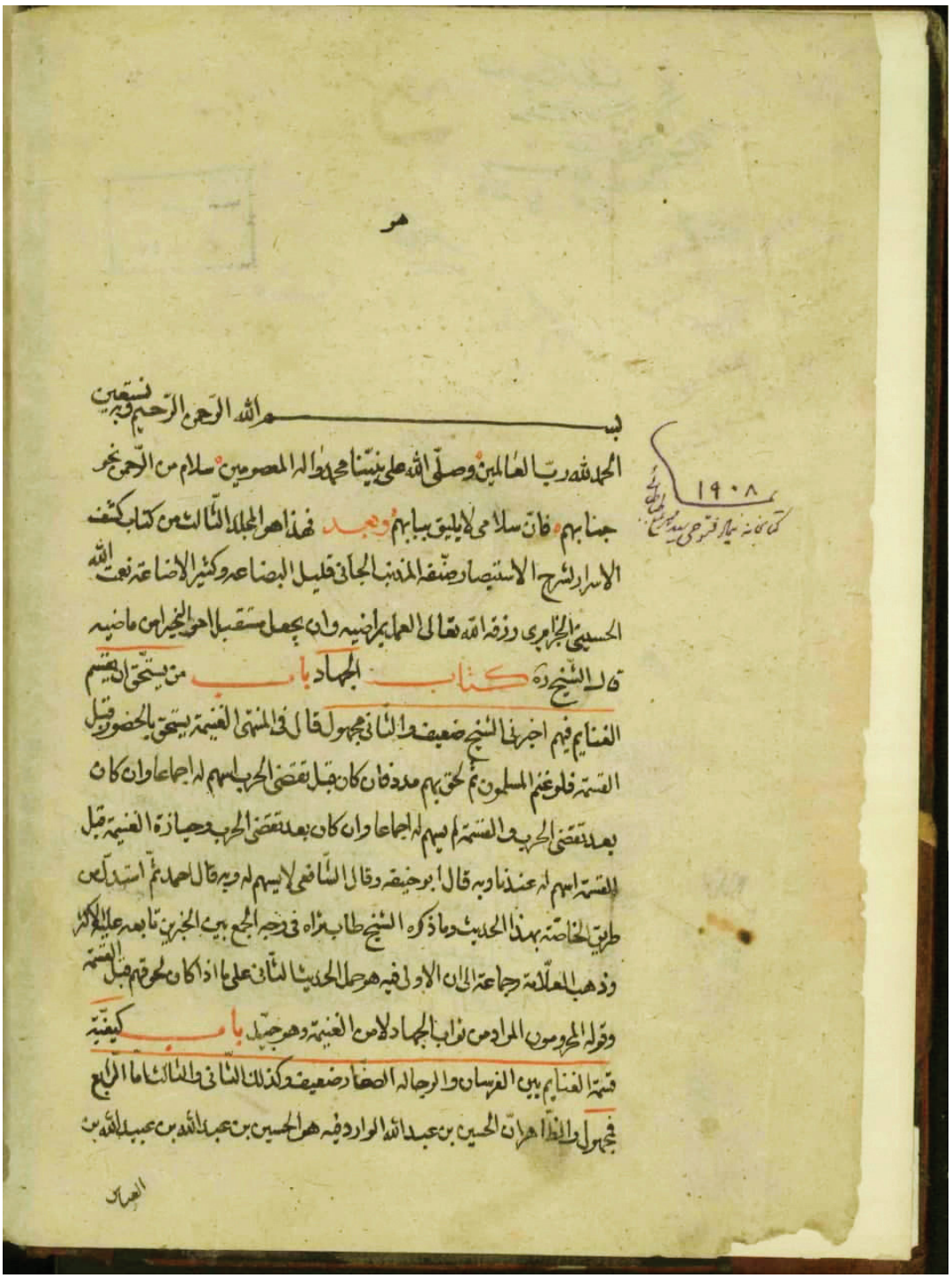
مؤاني المعقل ١٩٣٨



مركز شرطة باب الزبير



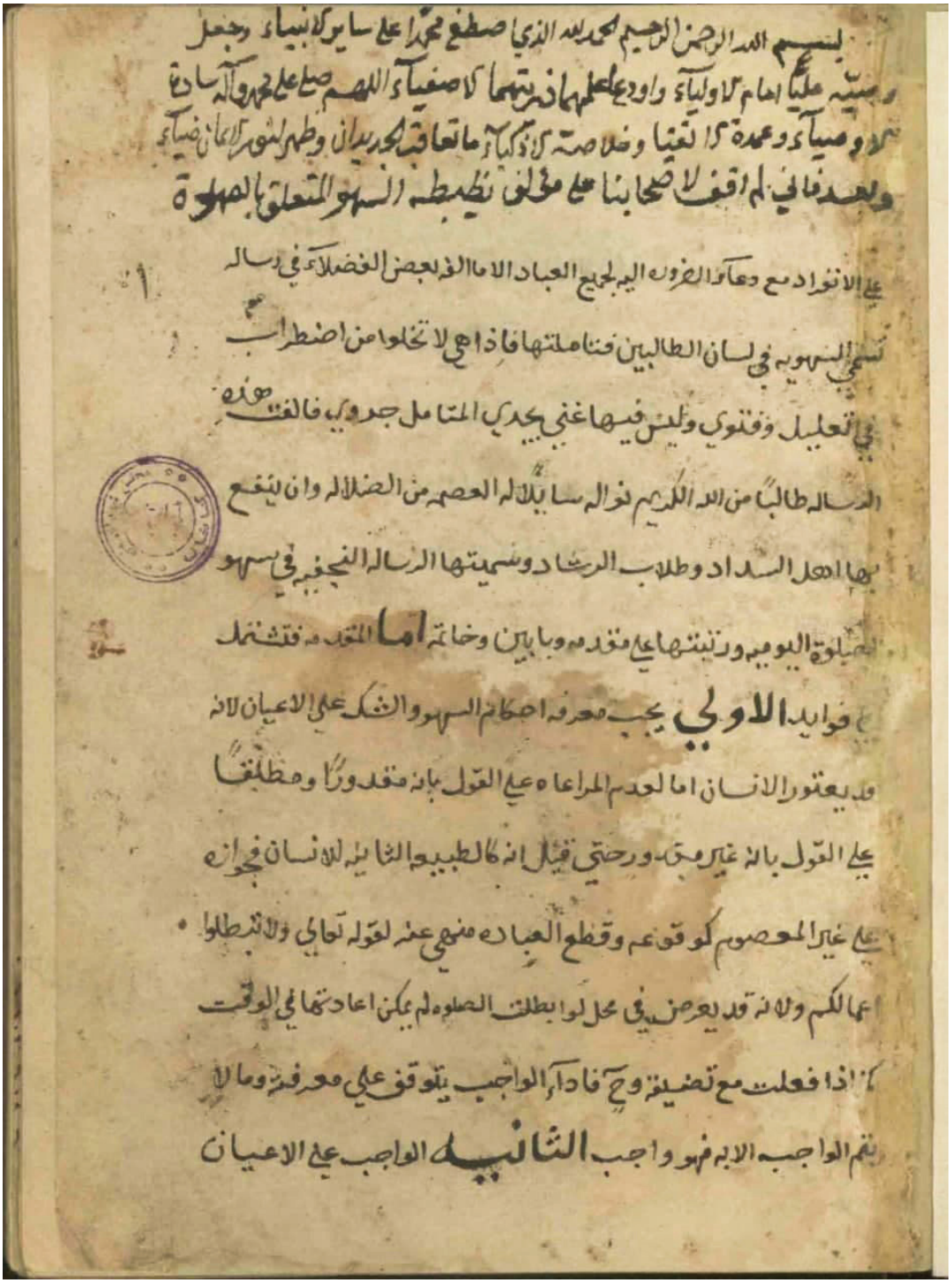
المستشفى الجمهوري



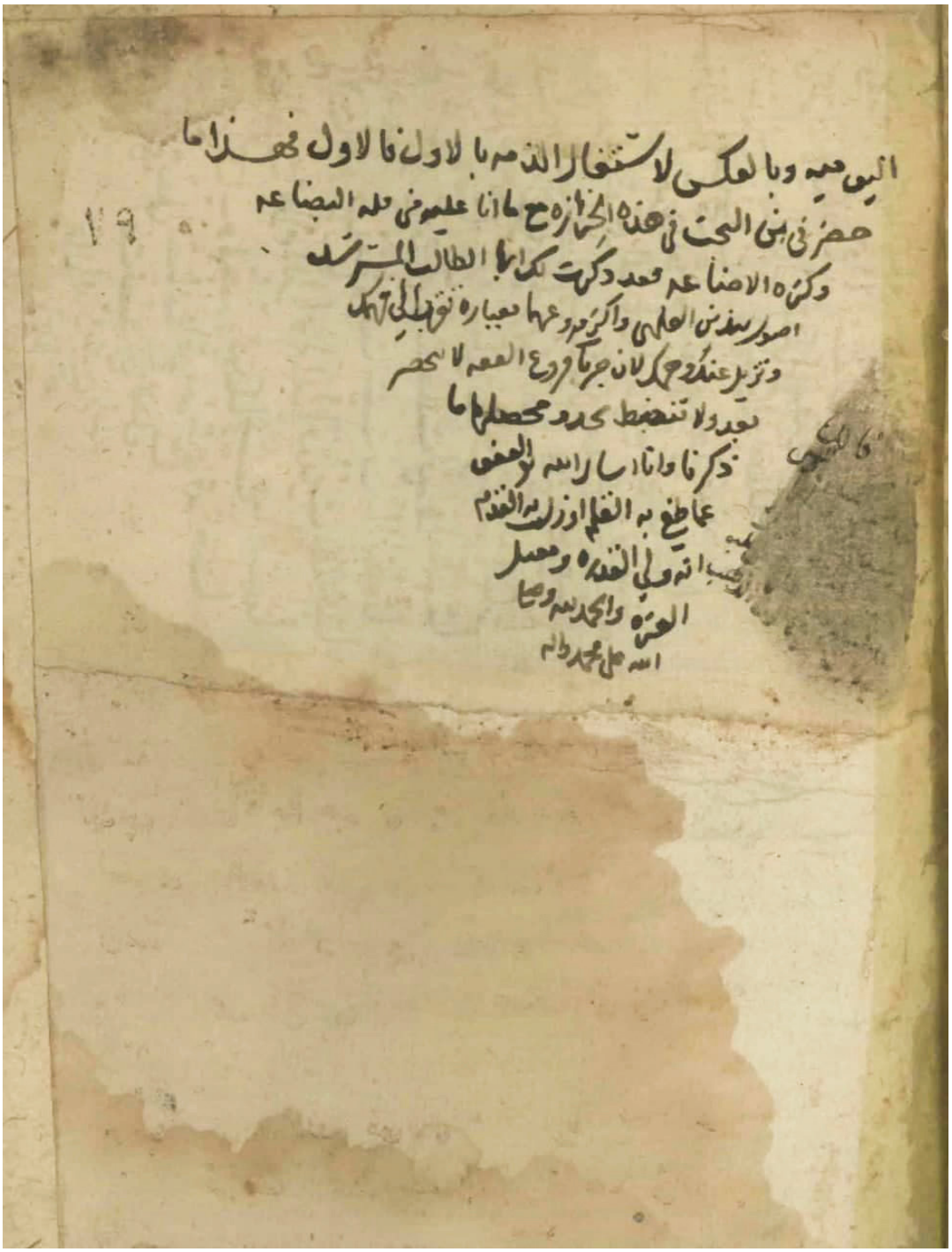
الصفحة الاولى من مخطوطة كشف الاسرار في شرح الاستبصار للسيد نعمة الله الجزائري المتوفى في (١١١٢هـ) الخط : نسخ



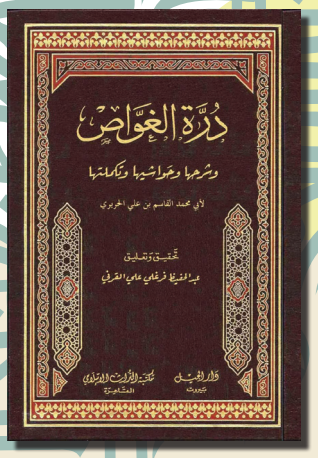
الصفحة الاخيرة من مخطوطة كشف الاسرار في شرح الاستبصار للسيد نعمة الله الجزائري
المتوفى في (١١١٢هـ) الخط : نسخ



الصفحة الأولى من مخطوطة الرسالة النجفية في سهو الصلاة اليومية للشيخ مفلح بن حسن بن رشيد الصيمري (كان حيّاً سنة ٩٠٠هـ) الخط: نسخ



الصفحة الأخيرة من مخطوطة الرسالة النجفية في سهو الصلاة اليومية للشيخ مفلح بن حسن بن رشيد الصيمري (كان حيّاً سنة ٩٠٠هـ) الخط: نسخ



كتابِ: دُرّةُ الغَوّاص في أَوْهام الخواصّ (٢)

الشيخ الدكتور : محمود العيداني

من حميد الأخلاق غيرةُ المرء على لغته؛ لأنّها آلةُ التواصل الاجتماعيّ، ووسيلةُ الإفهام والتفاهم، وأداةُ التعبير عن الاحتياجات الخاصّة والعامّة، وبها يُعبّر عن حَنايا الصدور، وخَلَجات النفوس، فإذا ما ضعفت قوّتها، انفرطت الوحدةُ الاجتماعيّة، وضاعت الدقّة في الاستعمال، واحتاجَ إدراكُ المعاني إلى مجهود يزيد عن الفائدة المرجوّة، لهذا، تحرّك حماةُ اللغة من قديمٍ لوضع القواعد والأسس لاستقامة اللسان، والتنبيه على مواطن الخَلل، وتقويم ما اعوجّ، والسير على هدى السابقين، مع فحصِ الأحوالِ والظروفِ المؤدّية لهذا الخلل، دون إغفالٍ لعوامل التطور والتجديد في الاستعمال.

ونظراً لقيمة اللغة العربيّة عند أهلها، والتصدّي لأيّ تحريف أو لحنٍ في استخدامها، وحرصِ علمائها على تقويم استعمالها على مرّ العصور، فقد قام عددٌ من العلماء بتأليف المعاجم اللغويّة؛ توثيقا لتراث الآباء، ومرجعاً نهتدي به عند الاختلاف، وتنميةً لما غاب عن الأذهان، وحمايةً للّغة من الضياع، وقام آخرون بتتبّع استعمال مفردات اللغة، وتصحيح الأخطاء، وبيان الفصيح والأفصح؛ استنادا على المخزون اللغويّ من كلام العرب الفصحاء.

ومن بين هؤلاء العلماء: ابنُ قتيبة في أدب الكاتب، والحريريُّ في درّة الغوّاص، فقد قاما بتقويم غير الصحيح الوارد في استخدام العوام والخواصّ، وبيان جهات القصور، سواء أكان في البنية، أم التركيب اللغويّ، أم الدلالة؛ وفق مقاييس وضوابط وأصول[1].

وقد تقدم في المقال السابق تسليط الضوء على كتاب للحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان،

أبو محمد، الحريري، البصري، صاحب المقامات المعروفة المشهورة[٢]، وهو كتاب (درّة الغوّاص في أوهام الخواص)؛ لبيان بعض ما يخطئ فيه المتكلمون بالعربية ويلحنون به.

ومما يجعل الكتاب جديرا بالقراءة ليس ما جاء فيه من معلومات وتصحيحات للّغة مهمّة وجيّدة وممّا لابدّ من تعلمه فقط، وإنّما ما خالط هذه المعلومات القيّمة من إضافات أدبيّة وقصصيّة وفكريّة وثقافيّة مختلفة، يجدر بكلّ من يهتمّ باللغة والعلم والمعرفة والثقافة الوقوف عليه، وقد وقع القرار على اختيار بعض ما في هذا الكتاب من موارد اهتم بذكرها الحريري، ونقلها على شكل مقالات متسلسلة بدأناها بالمقال السابق، وهذا هو المقال الثاني من تلك المقالات.

قال (رحمه الله):

«وَيَقُولُونَ للمتتابع: متواترٌ، فيوهمون فِيهِ؛ لِأَن الْعَرَب تَقول: جَاءَت الْخَيل متتابعةً، إِذا جَاءَ بَعْضُهَا فِي إِثْر بعض بِلَا فصل، وَجَاءَت متواترةً، إِذا تلاحقت وَبَينهَا فصل، وَمِنْه قَوْلهم: فعلتُه متواتراً، أَي: حَالا بعد حَال، وشيئا بعد شَيْء.

وَجَاء فِي الْأَثر أَن الصَّحَابَة لمّا اخْتلفُوا فِي الموؤودة، قَالَ لَهُم عَليٌّ كرّم الله وَجهه: إِنَّهَا لَا تكون موؤودة حَتَّى تَأتيَ عَلَيْهَا التاراتُ السَّبعُ، فَقَالَ لَهُ عمر: صدقتَ، أَطَالَ الله بَقَاءَك، وَكَانَ أوّلَ من نَطَق بِهَذَا الدُّعَاء، وَأَرَادَ عَليٌّ رَضِي الله عَنهُ بالتارات السَّبع طَبَقَات الْخَلق السَّبع المبيَّنة فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، فعنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ولَادَته حَيّاً، فَأَشَارَ عَليٌّ رَضِي الله عَنهُ إِلَى أَنّه إِذا اسْتهلَّ بعد الْولادَة، ثمَّ دُفن، فقد وُئِد، وَقصد بذلك أَن يدْفع قَولَ من توهّمَ أَنَّ الْحَامِل إِذا أسقطت جَنِينهَا بالتداوي، فقد وَأَدَتْه.

وَممَّا يُؤَيّد مَا ذكرنَا من معنى التَّوَاتُر: قَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾، وَمَعْلُوم مَا بَين كلّ رسولَين من الفَتْرة وتراخي المُدَّة.

وروى عبدُ خير[٣]، قَالَ: قلتُ لعَليٍّ رَضِي الله عَنهُ: إِنَّ عَليّ أَيَّامًا من شهر رَمَضَان، أفيجوز أَن أقضيها مُتَفَرِّقَةً؟ قَالَ: إقضها إِن شِئْت متتابعةً، وَإِن شِئْت تترى.

قَالَ: فَقلتُ: إِنَّ بَعضّهم قَالَ: لَا تُجزئ عَنْك إِلَّا متتابعةً، فَقَالَ: بلَى تُجزئ تترى؛ لِأَنَّهُ قَالَ عزَّ وَجلَّ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، وَلَو أرادها متتابعةً، لبيَّن التَّتَابُع كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

وَعند أهل الْعَرَبيَّة أَنَّ أصلَ تترى وَترى، فقُلبت الوَاوُ تَاءً، كَمَا قُلبت فِي تُخمة وتُهمة وتِجاه، لكَون أُصولهَا من الوخامة وَالوهم وَالْوَجْه.

وَيجوز أَن تنوَّنَ تَتْرى كَمَا تنوَّن أَرْطى، وَألّا تنوَّن مثل سَكْرى، وَقد قُرِئَ بهما جَميعًا.

وَحكى أَبُو بكر الصوليُّ، قَالَ: كَتَبَ أحدُ الأدباء إِلَى صديق لَهُ، وَقد أَبْطَأَ جَوَابُه عَنهُ: كتبتُ إِلَيْكَ، فَمَا أجبْتَ، وتابعْتُ، فَمَا واترتَ، وأَضْبرتُ، فأفردْتَ، وجمعتُ، فَمَا وحَّدْتَ.

فَكتبَ إِلَيْهِ صديقُه: الْجفَاءُ المستمرُّ على الأَزمَان، أحسنُ من بعض الخطاب للإخوان»[٤].

الهوامش

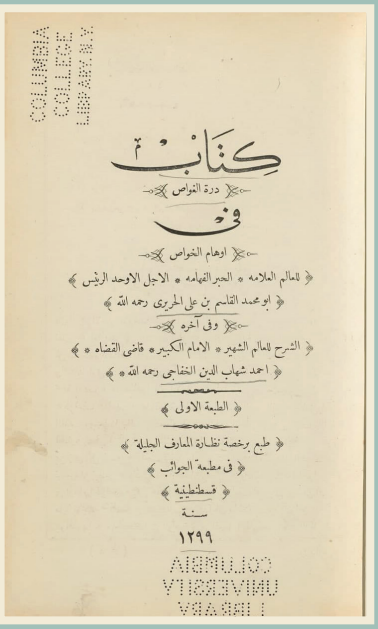
مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد – العدد (٨) – ٢٠١٦، ص١٣.

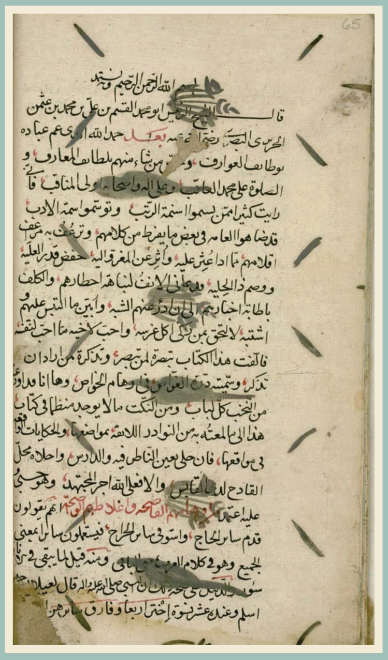
٢ – أنظر ترجمته المفصلة في: الأنساب للسمعاني: ٤/ ٩٥ و ١٢١، المنتظم لابن الجوزي: ٩/ ٢٤١، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ١٦/ ٢٦١، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص١٢٥٧، والعبر: ٤/ ٣٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص ١٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٦٦، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ٥/ ٢٢٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٤/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤، ٢٢٨.

٣ – لعله عبد خير بن يزيد الهمذاني الحيواني، وكنيته أبو عمارة، كان من أكابر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ – المصدر: درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، ص١٢ – ١٤.

١ – لسان الميزان: ١/٣٩٨/١٢٥٦.


كتاب
درة الغواص
في
اوهام الخواص
للعالم العلامه ٭ الحبر الفهامه ٭ الاجل الاوحد الرئيس
ابو محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله
وفي آخره
الشرح للعالم الشهير ٭ الامام الكبير ٭ قاضي القضاه ٭
احمد شهاب الدين الخفاجي رحمه الله ٭
الطبعة الاولى
طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة
في مطبعة الجوائب
قسطنطينية
سنة
١٢٩٩



إسماعيلُ بنُ رافع، نزيلُ البَصرة

الشَيخ علي الغزّي

إسماعيلُ بنُ رافع (ابنُ أبي رافع) بن عويمر، المدنيّ، أبو رافع، نزيلُ البصرة، ولم نقف على سبب انتقاله إلى البصرة مع أنّه مدنيُّ الأصل، وهو إسماعيلُ بن الحكم، لكنّه نُسِبَ إلى جدِّه أبي رافع، مولى النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وتوهّم ابنُ حَجَر اتّحادَه مع إسماعيل بن حكم، قاضي همدان، قائلاً: «إسماعيلُ بن الحكم، قاضي همدان في دولة الواثق، صُويلح، لكنّه شيعيٌّ. انتهى.

وذكره النّجاشيُّ في مصنّفي الشّيعة، وقال: روى عن إسماعيل بن محمّد بن عبد الله، وقال: هو إسماعيل بن الحكم الرّافعيّ، من ولد أبي رافع»[1]، ووجه الوهم: أنّ قاضيَ همدان متوفّى سنة (٢٣٢هـ) في ولاية الواثق[2]، بينما نزيل البصرة توفّي في حدود سنة (١٥٠هـ)؛ كما ذكر ذلك هو في التّقريب[3].

وقدْ ضعَّفه جملةٌ من علماء العامّة، كابن سعد[4]، والنّسائيّ[5]، وأبي حاتم[6]، وابن عديّ[7]، والدّارقطنيّ[8]، وابن الجوزيّ[9]، والذّهبيّ[10]، وابن حجر[11]، وغيرهم. وذكره النّجاشيّ والشّيخ من غير مدحٍ أو ذمٍّ[12]، وذكره الشّيخ في الرِّجال في أصحاب الإمام السّجّاد عليه السلام[13]، وعدَّه السّيّدُ البروجرديُّ من الطّبقة الخامسة[14]، بينما عدّه ابنُ حَجَر من السّابعة[15].

من رواياته:

- ما رُوي في مُستدرك الوسائل، عن «ابن أبي جمهور في درر اللآلي، عن إسماعيل بن رافع، قال: جاء جبرئيل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له: يا جبرئيل، أصبْنا نُسُكَنا اليوم؟ قال نعم، ولقد استبشرَ أهلُ السّماء بذبحكم، واعلم يا محمّد، أنّ الجذع من الضّأن أحبُّ إلى الله من السّيِّد من المَعز، وأنّ السّيِّد من الضّأن أحبُّ إلى الله من البَقَرة، ولو علم الله شيئاً أفضل مِن كبش إبراهيم عليه السلام، لأعطاه»[16].

- ما روي في الملاحم والفتن، عن «الوليد بن مسلم، عن إسماعيل ابن رافع، عمَّن حدَّثه، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستكون بعدي فِتَن، منها: فتنةُ الأحلاس، يكون فيها حربٌ وهربٌ، ثمّ بعدها فتنٌ أشدّ منها، ثمّ تكون فتنة كلّما قيل: انقطعتْ، تمادتْ، حتّى لا يبقى بيتٌ إلّا دخلتْه، ولا مسلمٌ إلّا صكَّتْه، حتّى يخرج رجلٌ من عترتي»[17].

- ما روي في الملاحم والفتن، عن «الوليد بن مسلم، عن أبي رافع، إسماعيل بن رافع، قال: قال أبو سعيد الخدريّ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أهلَ بيتي سيلقَون من بعدي من أمَّتي قَتلاً، (وتشريداً)، وإنَّ أشدَّ قوم عداوة بنو أميّة، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم»[18].

- ما روي في الملاحم والفتن، عن «نعيم، حدَّثنا الوليد، عن أبي رافع إسماعيل بن رافع، عمّن حدَّثه، عن أبي سعيد، عن النّبيّ (ص)، قال: تأوي إليه أمّتُه كما تأوي النّحلُ إلى يَعسوبها، يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئتْ جوراً، حتّى يكون النّاس على مثل أمرهم الأوّل،

لا يُوقظ نائماً، ولا يُهريق دماً»[19].

- ما روي في رجال النّجاشيّ، عن «محمّد بن جعفر، قال: حدَّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد، قال: حدَّثنا أبو الحُسين، أحمد بن يوسف الجعفيّ، قال: حدَّثنا عليّ بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ عليهم السلام، قال: حدَّثنا إسماعيل بن محمّد بن عبد الله بن عليّ بن الحسين، قال: حدَّثنا إسماعيل بن الحكم الرّافعيّ، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن أبي رافع، قال: دخلتُ على رسول الله (ص) [وسلّم]، وهو نائم، أو يُوحى إليه، وإذا حيّة في جانب البيت، فكرهتُ أنْ أقتلها، فأوقظَه، فاضطجعتُ بينه وبين الحيَّة، حتّى إنْ كان منها سوءٌ، يكون إليَّ دونه، فاستيقظ، وهو يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ثمّ قال: الحمد لله الذي أكمل لعليٍّ مُنيَتَه، وهنيئاً لعليٍّ بتفضيل الله إيَّاه، ثمَّ التفتَ، فرآني إلى جانبه، فقال: ما أضجَعَكَ ها هنا يا أبا رافع؟ فأخبرتُه خبر الحيَّة، فقال: قُمْ إليها، فاقتلها، فقتلتُها، ثمّ أخذ رسول الله (ص) بيدي، فقال: يا أبا رافع، كيف أنت وقومٌ يقاتلونَ عليّاً، [و] هو على الحقّ وهم على الباطل، يكون حقّاً في الله جهادُهم، فَمَن لم يستطع جهادَهم، فبقلبه، فَمَن لم يستطع، فليس وراء ذلك شيءٌ، فقلتُ: أدعُ لي إنْ أدركتهم، أنْ يعينني اللهُ ويقوّيني على قتالهم، فقال: (اللّهُمَّ إنْ أدركهم، فقوِّه وأعِنْه)، ثمّ خرج إلى النّاس، فقال: (يا أيُّها النّاس، مَن أحبَّ أنْ ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي، فهذا أبو رافع أميني على نفسي)»[20].

- ما روي في المصنَّف، لابن أبي شيبة، عن «وكيع، عن إسماعيل بن أبي رافع، عن خالد بن يزيد، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن نذر نذراً، فلم يُسمِّه، فعليه كفَّارة يمين»[21].

- ما روي في: (الثّالث والثّمانون من الفوائد الأفراد)، عن «الحسن بن أحمد بن أبي الشّوك: حدَّثنا أحمد بن العلاء، حدَّثنا عبيد بن جناد، عن إسماعيل بن عيّاش، عن إسماعيل بن أبي رافع، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، قال: المشّاؤون في الظّلمات إلى المسجد هم الخوّاضون في رحمة الله»[22].

الهوامش

٢- تولّى الحكم من (٢٢٧-٢٣٢هـ). يُنظر: تاريخ الخلفاء، للسّيوطيّ: ٢٤٨/١.

٣- تقريب التّهذيب: ٤٤٢/١٠٧/١، ويُنظر: ميزان الاعتدال: ٧٨٢/٢٢٧/١.

٤- الطّبقات الكبرى: ٢٧٩/٣٦١/١.

٥- الضّعفاء والمتروكين: ٣٢/١٦/١.

٦- الجرح والتّعديل: ٥٦٦/١٦٨/٢.

٧- الكامل في الضّعفاء: ١١٩/٤٥٢/١.

٨- الضّعفاء والمتروكين: ٧٨/٢٥٦/١.

٩- الضّعفاء والمتروكين: ٣٧٠/١١١/١.

١٠- ميزان الاعتدال: ٧٨٢/٢٢٧/١.

١١- تقريب التّهذيب: ٤٤٢/١٠٧/١.

١٢- رجال النّجاشيّ: ٥٣/٢٨ والفهرست: ٥٠/٥٤.

١٣- رجال الشّيخ: ١٠٧١/١١٠.

١٤- ترتيب طبقات رجال النّجاشيّ، (مخطوط).

١٥- تقريب التّهذيب: ٤٤٢/١٠٧/١.

١٦- مستدرك الوسائل: ١١٥٤٣/٩١/١٠.

١٧- الملاحم والفتن: ٧٠.

١٨- الملاحم والفتن: ٨٣/ح٢٣.

١٩ الملاحم والفتن: ١٤٧.

٢٠- رجال النّجاشيّ: ٤.

٢١- المصنَّف: ١٢١٨٣/٦٩/٣.

٢٢- الثّالث والثّمانون من الفوائد الأفراد: ٣٦٧/٢/ح٧١.

١- وفيّات الأعيان، لابن خلّكان، ٦/ ١٧٣.



إمام القُرّاء بالبصرة
يحيى بن يَعمُرَ العدوانيّ، النحويّ البصريّ

د. أشرف عبد الحَسَن

إنّ التراثَ البصريَّ حافلٌ بالأعلام والشخصيّات العلميّة والأدبيّة والفكريّة في ميادين العلم كافّة، وقد كان لهم قَدمُ السَّبق في إثراء التراث الإسلاميّ والمعرفة الانسانيّة بشكل عامّ، والكثيرُ منّا يجهلُ هؤلاء الأعلام وما قدّموه، فحريٌّ بنا أن نسعى جاهدين إلى إبراز تراث هؤلاء؛ فإنّ الأمّة التي لا تحتفي بعلمائها، يصيبها الجهلُ والظلامُ، والتراثُ ما هو إلّا تراكمٌ معرفيٌّ في سبيل التقدّم والتطوّر، فكيفَ بنا أن نتقدّم وقد سبَقَنا الكثيرُ من الأعلام في ميادينهم؟! فينبغي الرجوعُ الى معارفهم، ومواكبةُ التطوّر العلميّ؛ من أجل الوصول الى تصوّر علميٍّ صحيح.

ومن هؤلاء الأعلام، الذين كان لهم الدور الأبرزُ في ميادين علوم القرآن، والفقه، والنحو، ولُغات العَرب، هو: يحيى بن يَعْمُر العدوانيّ، النحويُّ البصريّ.

كان تابعيّاً لقي عبدَ الله بنَ عبّاس وعبدَ الله ابنَ عمر، ولقيَ غيرهما. وُلد بالبصرة، وانتقل إلى خُراسان، أخذَ النحوَ عن أبي الأسود الدؤليّ، ويقال: إنّ أبا الأسود لمّا وضعَ بابَ الفاعِل والمفعولِ به، زاد فيه رجلٌ من بني ليث أبواباً، ثمّ نظرَ، فإذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه، فأقصرَ عنه، فيمكن أن يكون الرجلُ يحيى بن يعمر المذكور؛ إذ كان عِدادُه في بني ليث؛ لأنّه حليفٌ لهم، وكان شيعيّاً من الشيعة الأولى، القائلين بتفضيل أهل البيت عليهم السلام[1].

وكان يعدُّ من كبار العلماء، وإمامَ القُرّاء بالبصرة، وعنه أخذ عبدُ الله بن أبي إسحاق القراءة، وأبو عمرو ابن العَلاء[2].

روى عن: أبي ذرّ، وعمّار بن ياسر، وابن عبّاس، وأبي الأسود الدؤليّ، وقرأ عليه القرآنَ، روى عنه: عبدُ الله بن بريدة، وقتادةُ السدوسيُّ، ويحيى بنُ عقيل، وعطاء الخراسانيّ، وسليمان التيميّ، وإسحاق بن سُوَيد العدويّ، وآخرون.

وقيل: إنّه أوّلُ من نقّطَ المصحف، وكان أحدَ الفُصحاء، أخذَ العربيّةَ عن أبي الأسود، وكان الحَجّاجُ قد نفاه الى خُراسان، وتولّى القضاء بمرو أيّام قُتيبةَ بنِ مسلم. وكان

إذا انتقل من بلدٍ إلى بلد، استُخلف على القضاء بها، قال خليفة: تُوفّي يحيى بن يعمر قبل التّسعين [٣].

وكان السبب في نفيه من أرض العراق، أنّ الحجّاج قال له: أخبرني عنّي أألحنُ في الكلام، قال: نعم تلحنُ لحناً خفيّاً، تزيد حرفاً وتنقصُ حرفاً، وتجعلُ (أنّ) في موضع (إنّ)، و(إنّ) في موضع (أنّ)، قال: قد أجّلتُك ثلاثاً، فإنْ أجدْك بعد ثلاث بأرض العراق، قتلتُك، فرجع إلى خراسان [٤].

وكان ينطق بالعربيّة المحضة، واللغةُ الفصحى طبيعةٌ فيه غيرُ متكلّف، وأخبارُه ونوادرُه كثيرةٌ، وتوفّي سنة تسع وعشرين ومائة[٥].

ونذكر هنا قصّةً جرت بين يحيى بن يعمر والحجّاج؛ لما فيها من الفائدة الكبيرة من الناحية العقائديّة والاستدلال العقليّ، وهذه الحادثة كانت في عيد الأضحى، وقد أرسل للشعبيّ، فقال: «يا شعبيُّ، هذا يوم الأضحى، وقد أردتُ أن أضحّي فيه برجل من أهل العراق، فأحببتُ أن تسمع قوله، فتعلم أنّي قد أصبتُ الرأي فيما أفعل به. ثمّ أمر بنَطع [٦]، فبُسط، وبسيّاف، فأُحضر. وقال: أحضروا الشيخَ، فأتوا به، فإذا هو يحيى بن يعمر العدوانيّ، فاغتممتُ غمّا شديداً، وقلتُ في نفسي: وأيّ شيءٍ يقول يحيى ممّا يوجب قتلَه ؟![٧]، فقال له الحجّاج: أنت تزعم أنّك زعيمُ العراق؟ قال يحيى: الزعمُ كذبٌ، ولكنّي أقول: إني فقيه من فقهاء أهل العراق. قال: فمن أين فقهُك، زعمك الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟

لتأتينّي بالمخرج أو لاضربنّ عنقَك، فقال له: فإن أتيتُ بالمخرج فأنا آمن؟ قال له: نعم، قال له: اقرأوا ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨]، إلى قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾[٩]، قال يحيى: ومن أينَ كان عيسى من ذرّيّة إبراهيمَ ولا أبَ له من صلبه؟ قال: من قِبَل أمّه. قال يحيى: فَمَن أقربُ رَحِماً، مريمُ من إبراهيمَ أم فاطمةُ من محمّد، أمُّ الحَسَن والحُسين منه، أمُّ عيسى من إبراهيم؟ قال الشعبيُّ: فكأنّما لقمَه حجراً، فقال: أطلقوه قبّحهُ الله، وادفعوا إليه عشرةَ آلافِ درْهَم، لا بارك اللهُ له فيها. قال الحجّاج: فواللهِ، لكأنّي ما قرأتُ هذه الآيةَ قط»[١٠].

ونكونُ بهذه الأسطر قد بيّنّا بعضَ الشيء قيمةَ هذا العالم الجليل، التي ـ بالتأكيد ـ لا تغطّي كافّة جوانب حياته المليئة بالعطاء، هذا العالم الذي نهلَ من مدرسةِ أهل البيت عليهم السلام، والذي تعلّم العربيّة وعلومَها من أبي الأسود الدؤلي، الذي هو بدوره كان أحدَ أبرز تلاميذ الإمام عليٍّ عليه السلام.

الهوامش

٢- أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، ١٠/ ٣٠٤-٣٠٥.

٣- تاريخ الإسلام، للذهبيّ، ٦/ ٥٠٢-٥٠٣.

٤- أنساب الأشراف، للبلاذري، ١٣/ ٢٦٥-٢٦٦.

٥- وفيّات الأعيان، لابن خلّكان، ٦/ ١٧٥.

٦- النَّطْعُ: هو بِساطٌ من الأَدِيم. ينظر: تاجُ العروس، للزبيديّ، ١١/ ٤٨٢.

٧- تاريخ الطبريّ، ٥/ ١٨٧؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٤/ ٤٩٩.

٨- سورة الأنعام، الآية ٨٣.

٩- سورة الأنعام، الآية ٨٤-٨٥.

١٠- أنساب الأشراف، البلاذريّ، ١٣/ ٢٦٥؛ شرح الأخبار، القاضي النعمان، ٣/ ٩٢-٩٥؛ وفيّات الأعيان، لابن خلّكان، ٦/ ١٧٤؛ مرآة الجنان، اليافعيّ، ١/ ٢١٣؛ حياة الحيوان الكبرى، الدّميريّ، ١/ ١٩٠.

سورة الاحزاب، الآية: ٢٣.



أخلاقيّاتُ القيادة الإنسانيّة في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر رضي الله عنه

أ.د. نجم عبد الله الموسوي

لم تكنْ شخصيّةُ الإمام عليٍّ عليه السلام بالشخصيّة العابرة في خضمَ التاريخ، بل كانت شخصيّة لها أبعادٌ ايجابيةٌ تركت تأثيراً واضحا في مختلف اتّجاهات الحياة الدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والإداريّة والاجتماعيّة والتربويّة والنفسيّة وغيرها، فهو عليه السلام ترك لنا إرثاً علميّاً كبيراً بما قدّمه من أسس للارتقاء بالفرد والمجتمع وبنائه بناءً صحيحاً ناجحاً.

ومن خلال تسليط الضوء على الجانب الإداريّ، نجد أنّ عهدَه عليه السلام إلى واليه على مصر، مالكِ الأشتر رضي الله عنه، قد أخذ حيّزاً واسعاً لدى الإداريّين والمتخصّصين في الإدارة والأعمال، ولدى التربويّين والنفسيّين وعلماء الاجتماع أيضا، وكلٌّ ينظر إليه بعين البصر والبصيرة،

ويبيّن إعجابَه به، وبمحتواه، وبرؤاه، وما يتضمّنه من أسسِ خلقِ الدولة الناجحةِ، وأسسِ العملِ الإداريّ الصحيح.

ونتيجةً للاطّلاع على بعض الدّراسات والبحوث في الإدارة والقيادة، وجدنا أنّ العديدَ من الباحثين الذين سلطوا الضوء على عهد الإمام عليّ عليه السلام إلى مالك الأشتر رضي الله عنه، كانوا قد بيّنوا إعجابَهم به؛ كونَ محتوياته وأفكارِه كأنّما بُنيت على فلسفة إداريّة حديثة ومتجدّدة، أخذت الطابعَ العمليَّ والعلميَّ والموضوعيَّ في شكلٍ ومضمونٍ من يتصدّى لإدارة الحكم، الأمر الذي يخلق ثقافةً تنظيميّةً واعيةً في إدارة الدولة.



وكذا يمثّل هذا العهدُ ـ في حقيقة الأمر ـ أسلوباً قياديّاً متميّزاً أنشأه الإمامُ عليٌّ عليه السلام على فلسفةٍ إسلاميّة ذات نظريّة تختلف عن كلّ نظريّات القيادة والإدارة، قائمةٍ على ضرورةِ إقناعِ المجتمعِ بقيادته وبمبادئها، وخصوصاً إذا أثبتت تلك المبادئُ نجاحَها في الواقع العمليّ والتطبيقيّ.

وإنّ المبدأ المهمَّ الذي ركّزه الإمامُ عليٌّ عليه السلام، هو ضرورةُ إشباع الحاجات الأساسيّة، وتحقيق الرغبات بالصورة التي تتلاءم مع توقّعات أفراد المجتمع، الأمر الذي يساعد على تحقيقِ الرضا والسعادةِ لديهم، والقناعةِ التامّة بقيادتهم الإداريّة.

ومن الجدير بالذكر إنَّ مبدأ القيادة (leadership) في فكر عليّ عليه السلام ليس امتيازاً وتميّزاً، بل هو عنوانُ عملٍ وطريقُ خدمةٍ يعملُ الرئيسُ والوالي عن طريق فريق عمل متعاون لأداء الأعمال، وإظهار طاقات المرؤوسين، والعمل الجاد على تطويرها والنهوض بها، وخلق روح التنافس في النجاح والتميّز.

ولقد حرص أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام على ضرورة تطوير القائد الناجح؛ لأساليبه القياديّة والإداريّة، والعمل على الاقتراب من المجتمع، وعدم الابتعاد أو الانعزال عنه، بل خلق حالة شعور لدى أفراد المجتمع بأنّ القائد أو الوالي أو الرئيس يشعر بما يشعر به الآخرون، ويتعايش مع آمالهم وآلامهم وطموحاتهم، ويحسّ بما يتألّمون منه وبما يريدون.

وكذلك سعى الأمامُ عليٌّ عليه السلام إلى خلق قناعة لدى القائد بضرورة جعل العنصر البشريّ أو الإنسانيّ الثروةَ الحقيقيّة الناهضة في بناء الدولة، وهو المحورُ الأساس في نجاح القائد في عمله؛ فالعنصر البشريُّ يمثّل الركيزةَ الأساسيّةَ لعمل القائد، ونجاحهم يمثّل نجاح القائد، كما أنّ انحرافهم عن المستوى المطلوب يمثّل انحرافَ القائد عن تحقيق الأهداف المرسومة.

وبعد متابعة مضامين العهد المبارك، نجدُ أنَّ هناك جوانبَ إداريةً وقياديّةً أكّدها الأمام عليٌّ عليه السلام، نستخلص منها ما يأتي :

– التأكيد على التزام القائد بالتعاليم السماويّة السمحة، والتقيّد بكلّ ما جاء فيها بكتاب الله وسنة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، وأنّه لا يكون ناجحا إلّا بمكافحة أهوائه ونزواته، ويكبح جماحها، فلا حصانةَ لقائدٍ في نظر

الإمام علي عليه السلام، ولا توجد فلسفة تجوّز للقائد ما لا يجوز لغيره من الناس أو الرعيّة، فالقائد والرعيّة كلاهما يجب أن ينضبطا تحت تعاليم السماء وسننها، فالقائد يكون جزءاً من مجموعته، وكلّما أحسّت المجموعة بأنّ القائد مثلُها، كان القائدُ أكثرَ تأثيراً فيها، وهذا ما يؤكّد أنّ القيادةَ الناجحة هي التي تعمل مع الآخرينَ، وتؤثّر فيهم تأثيراً إيجابيّاً؛ وصولاً للأهداف المحدّدة.

- انطلق الإمامُ عليّ عليه السلام في عهده الشريف إلى ضرورة النظر إلى الأحداث التاريخيّة والسنن السابقة، والتمعّن فيها، والاستفادة منها في العمل ومواجهة مجريات الإحداث التي تحدث في الدولة، وأخذِ العِظةِ والعِبرة ممّن سبق، وكأنّه عليه السلام يريد من الحاكم أو القائد أن ينظر بعين البصيرة لمن سبقه، ويشخّص الجوانب الايجابيّة في عملهم، ويعمل على بقائها وتعزيزها، ويشخّص الجوانبَ السلبيّةَ في عمل من سبق، وعدم تكرارها، أو معالجتها، ووضع الحلول المناسبة لها، ومنع تكرار حدوثها، فضلاً عن رؤية الإمام عليه السلام بملاحظة رأي الرعيّة في المتصدّي، والاستفادة من آرائهم وأحكامهم.

- حَرَص الإمامُ عليٌّ عليه السلام أن يكون القائد ذا طابعٍ إنسانيٍّ متميّز بالعاطفة والوجدان؛ فالإنسانية يجب أن تكون السمةَ المميّزة للقائد الإداريّ الناجح في التعامل مع المرؤوسين، فالموقف الإداريُّ الناجحُ يجب أن يتّسمَ بالعدل والإنصاف والشجاعة والابتعاد عن الظلم والتكبّر والزهو والغرور؛ لأنّها أمراضٌ نفسيّةٌ تفتك بشخصيّة القائد، وتذهب بحلمه، وتفقدُه توازن الشخصيّة السويّة.

- يرى الإمامُ عليٌّ عليه السلام أنّ نجاح أيّ قائد يتوقّف على كفاءته القياديّة وفاعليّته، أي أن تتوفّر فيه سماتُ النجاح في الإدارة، وأنّ القيادةَ غيرَ الجيّدة وغيرَ الكفوءة أحدُ أهمّ أسباب فشل الدولة وعدم صمودها أمام مجريات الأحداث.

- أشار الإمامُ عليٌّ عليه السلام في مجمل عهده المبارك إلى مسألة مهمّة، ألا وهي تحلّي القائد أو الوالي أو الحاكم بمكارم الأخلاق، التي تؤدّي بدورها إلى القوّة والصلابة وضبط النفس، وما تأكيدُه عليها إلّا حرصا على أن لا يصدر من القائد إلّا ماهو طيّبٌ ومحمود وحسن وجميلٌ، وأن تترفّع نفسُه عن صغائر الأمور، ولا يجرّه الهوى والميول إلى أن يقلّل من شإنه، ويضعّف من سماته الشخصيّة، فالقيادةُ الأخلاقيّة هي القيادةُ الناجحةُ والمؤثّرة والفاعلة.

- إنّ من أهمّ ما يميّز القيادةَ في فكر الإمام عليٍّ عليه السلام، هو: أن تكون قيادةً خادمةً (servant leadership)، أي: يحب قضاء حوائج الناس، وأن يكون الإيثارُ ضمنَ سلوكه المعتاد، وأن يبتعدَ عن المنفعة الشخصيّة له ولذويه ومكانته، وأن لا يستغلّ الآخرين بما لديه من سلطويّة وقوّة ومكانة، وأن يجعل القائدُ الناجحُ موضوعَ رفاهية شعبه ورعيّته في موضع الصدارة، ومن الأولويّات في خططه وعمله، ومن ضمن بديهيّات إدارته، وكلّما كان القائدُ متفانياً، يؤْثر على نفسه، كان أكثر قبولاً من الآخرين، فالقائد الذي لديه أثرٌ في حياة الآخرين، يستطيع أن يؤثّر فيهم، ويقودَهم بصورة صحيحة.

- لابدّ للقائد في نظر الإمام عليّ عليه السلام أن يكون عارفاً قدرَ الإمكان بأحوال الناس، وأن ينتقيَ منهم من هو صالح لتولّي المناصب والتصدّي للمسؤوليّات؛



فنراه عليه السلام يحثُّ مالكاً على ضرورة الاختيار السليم من المجتمع لمن يتصدّى لإدارة أعمال الدولة، على أن يكون الاختيار من العوائل والأسر المعروفة بدينها وورعها وقدرتها على القيادة وحب الخير؛ لأنّ الخيرَ لا ينتج إلّا خيراً، وأنّ الشرّ لا ينتج إلّا شرّا.

– من الأمور المهمّة في تشكيل شخصيّة القائد في توجيهات الأمام عليّ عليه السلام، أن يعتمد على القوى الاجتماعيّة لديه، وأن يسعى جاهداً إلى كسبها واحتوائها وعدم سخطها؛ عن طريق الإحسان والعدل، وتقديم الخدمات اللازمة، ورعاية الناس، والتواصل معهم، وعدم الانعزال عن المجتمع، بل أن يكون جزءاً منه، متواصلا مع أفراده، يعيش همومَهم وآلامَهم، ويحسّ بما يعانونه.

– وجَّهَ الإمام علي عليه السلام في عهده المبارك إلى أنَّ القائدَ الناجح مَن يكون حاذقاً، واعياً، ذا عقل نبيهٍ، فلا يولّي مَن كانت له تجربة في الولاية غيرُ ناجحة، أو من كان متسلّطا في حكومة فاشلة؛ لأنّه جزءٌ منها، ومحسوبٌ عليها، وإن كانت لديه خبرة أو دراية في مجال القيادة والإدارة، فهناك في المجتمع طاقات مختلفة يمكن اختيارها والاعتماد عليها، بشرط المتابعة والمراقبة المستمرّة؛ لكي لا يتفرّد بعضُ الأشخاص بما لديهم من سلطة وجاه.

– إنّ للبعد التنظيميّ للدولة في عهد الأمام عليٍّ عليه السلام أثراً كبيراً في بنائها وقيامها وإدارتها، فلا بد من تنظيم عمل إدارة الدولة بأسلوب عمليّ علميّ دقيق؛ فهناك سياقاتُ عمل إداريّة، وخططٌ يوميّةٌ لإنجاز العمل، وخططٌ مستقبليّة، وكذلك يجب تحديد مواعيدَ ومواقيتَ للّقاء بالرعيّة، ومعرفة أحوالهم، وعدم الاحتجاب عنهم؛ لأنّ لهم حقوقاً على الحاكم، وله عليه واجبات يجب أن ينفذّها الحاكم والقائد، لا بدّ من إتّباعها، وهي التي تضمن النجاح والاستمرار.

ومن الملاحظ أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أعطى الخطوط العريضة لبناء سياقات الدولةِ، وترك التفاصيل؛ فإنها ما تمليه طبيعة العمل القياديّ والإداريّ، فنراه يؤكّد على شرائح مختلفة في إدارة الدولة، من العلماء، والثقاة الصادقين، وأجهزة الدولة الأمنيّة، والقضاة، والجيش، والقادة، والمدراء، وغير هذه الشرائح كثير.

- أعطى الإمام عليٌّ عليه السلام خطوة هامّة جدّاً للقائد الناجح، وهي: أن يكون هناك لمساتٌ خدميّةٌ تقدّمها الدولة، فلا يكن همُّ الحاكم جباية الأموال من الناس، أو الضرائب، أو غيرها، من غير أن يكون هناك تأثيرٌ خدميٌّ واضحٌ، فالخدمات بالدرجة الأولى ثمّ الضرائب وغيرها من الاستحقاقات الخاصّة بالدولة، فالدولة ليست أداة لادّخار المال وخزنه، بل لتوظيفه واستعماله في النجاح في الترفيه عن المجتمع، وخدمته والبذل عليه، وقضاء حوائجه.

- ينظر الإمام عليٌّ عليه السلام إلى القائد الناجح باعتباره المسؤول الأوّل عن توفر بيئة اجتماعية صالحة لعيش الناس، وضمان سلامتهم، وأمنهم السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، فهذه الأمور كلّها مسؤوليّة الدولة، ومن حقّ التابعين أن يعيشوا ببلد مستقرٍّ سياسيّاً، ليس فيه الحروب إلّا في الحالة الدفاعيّة، وفيه يضمن الناسُ أقواتَهم وأرزاقَهم، ويأمنوا على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأملاكهم، ويحسّوا ويشعروا بوجود قوانين تحميهم وتنصرهم في حالة الاعتداء عليهم.

- اهتمَّ الأمام عليٌّ عليه السلام في طيّات عهده المبارك بتنمية الجانب الاجتماعيّ، والتفاعل مع المجتمع، وتلبية حاجاته الأساسيّة لاستمرار في الحياة، وأن هناك طبقةً اجتماعيّةً تحتاج إلى رعاية خاصّة وعناية متأنّية، وهم شريحة الأيتام، وكذلك كبار السنّ، وأصحاب الاحتياجات الخاصّة، ولابدّ من تعهّد هؤلاء بالنفقة، وسدّ حاجاتهم، ومتابعة أمورهم عن طريق العمال الثقات، وأهل الخشية من الله تعالى؛ لكي لا يصلوا إلى المسألة والذلّة، ويحسّوا بأنّهم عالة على المجتمع.

- أخذت الحالة الاقتصاديّة أهمّيّةً في عهد الإمام علي عليه السلام، فنراه يؤكّد ضمانَ العيش للجميع، ومتابعةَ أسواق المسلمين، وملاحظةَ التجّار وعمليّة البيع، ومنع حالات الاحتكار والتحكّم بأقوات الناس، أو رفع الأسعار بصورة فاحشة في أوقات الأزمات، والشراء، بل محاسبة المحتكرين الذين لا يرعوون للقوانين ضمن الضوابط الإسلاميّة، مع وضع الله والعدل نصب عيني العامل المسؤول.

- بيّن الإمامُ عليٌّ عليه السلام أنَّ القائدَ الناجحَ هو الذي يكون منفتحا تجاريّا على بقيّة البلدان الأخرى؛ فحركة التجارة إحدى أهمّ مقوّمات النجاح في بناء المجتمع، والنهوض به، وهي حالة طبيعيّة تجري في البرّ والبحر بين البلدان، والتجارةُ تجلبُ منافعَ كثيرةً للبلد بشرط المتابعة والتفقّد الدائم لأحوالها بصورة مستمرّة، ومن باب آخرَ، يوصي عليه السلام بالاهتمام بأهل الصناعات المختلفة والمهن المتعدّدة، ويعطي سمةً للتعامل معهم، أي: أنّ أهل التجارة والصناعة أناسٌ مسالمون، يقصدون العمل والعيش، وليس لهم مكرٌ أو دهاء.

- من واجبات القائد الإداريّ الناجح في فلسفة الإمام عليّ عليه السلام، حفظُ البلاد والأرض والمؤسّسة التي يقوم عليها في أوقات الحرب والسلم، وأن يميل إلى الصلح قدر الإمكان إذا طلب العدوُّ ذلك، وأنّ العناية بالجيش واجبٌ على القائد لحماية البلاد من أيّ اعتداء خارجيّ، وكذا حفظُ هيبته ومكانته، فضلاً عن الاهتمام بالأمن الداخليّ للبلاد؛ لأنّهم حصنُ المجتمع، وعزٌّ للإسلام والمسلمين، والأداة الرئيسة لتقويم الرعيّة.



ركعةٌ في محرابِ الجودِ

الشاعرة البصريّة: حميدة العَسْكريّ

كفّاكَ بوْصلتي وكلُّك قِبلَتي ... ياوجهَ بابِ اللهِ بارِكْ رَكعَتي

في رحلةٍ نحوَ الرّواءِ تشجَّرَتْ ... فوقَ الرمالِ وأثمرتْني دَمعَتي

كأساً يُقَسَّمُ للظماءِ يدورُ في ... فُلكٍ مسافتُهُ استدارةُ بهجةِ

اغواءَةُ الماءِ، احْتطابُ تعطُّشي ... ونَداكَ أمطارٌ تُغازلُ حِنطَتي

حَرْفٍ اقتراحُ الحُزنِ يتلو آيةً ... تبكي محاريبٌ لهُ في نَغمةِ

ناياتُه ودَجٌ تيبَّسَ لحنُه ... لم يَسقِه مثلُ انثيالِ النّغمةِ

بي غُربةٌ مالمْ تُفسّرْكَ الظنو ... نُ حقيقةً..ذِكراً يُشاكسُ سَجدَتي

عبّاسُ ياظَهرَ الحكايةِ.. شمسَها ... ومضَ البطولةِ في قيافةِ نجمةِ

شَكّلْتَ وَجهَ الماءِ حينَ دَخلْتَهُ ... صارتْ ملامحُهُ حُسينَكَ دَوْلتي

أنتَ اختيارُ اللهِ قُربةُ ذوقِهِ ... يدري خيامَ القبلتَين بغُربةِ

يا سيّدَ الماءِ اخترعْتَ سُلالةً ... تنمو على جِلدِ الفراتِ كَقربةِ

وحملْتَ نفسَك جودَ طَعْمٍ آخرٍ ... تسقي به كوني وَصمْتَ مجرَّتي

شهدَتْ قطوفُ محاجري صوراً بها ... طافَتْ دموعُ الأرضِ فيهِ كَكَعبةِ

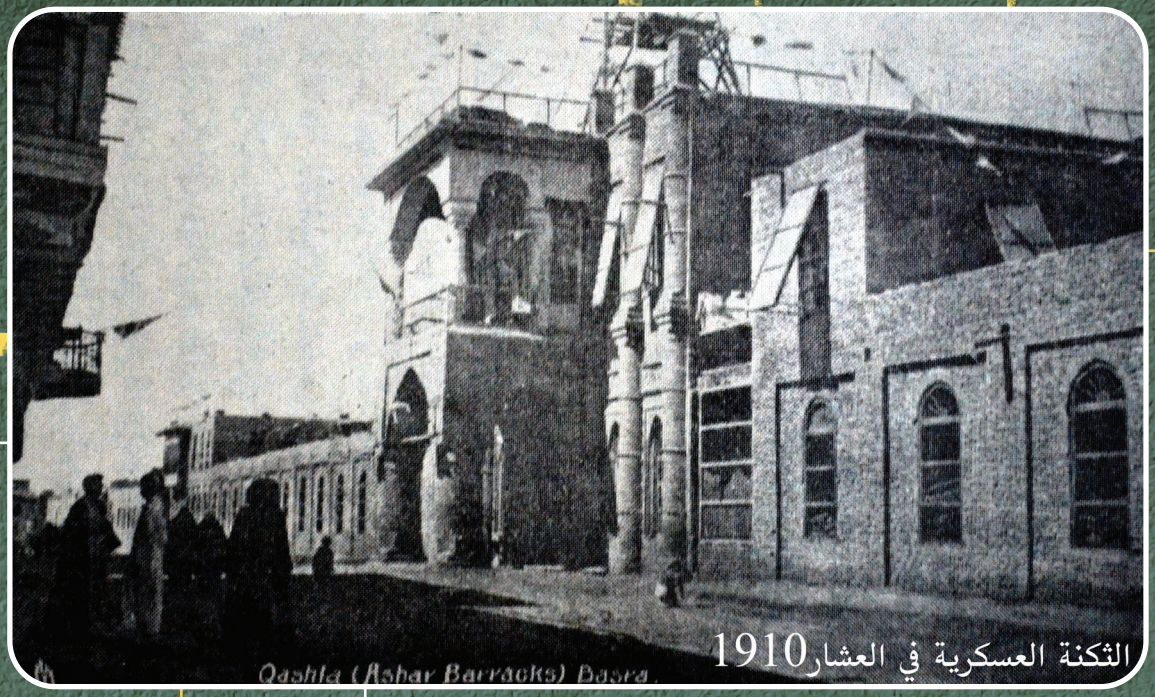
هبْني وُصولاً عندَ ضِفّةِ نهرِهِ ... هبْني وَضوءاً لانْصهارِ قَصيدَتي

هبْني اختصارَ الروحِ في وَطنِ الهُنا ... كيما أنامُ بدولةٍ في دَولتي

هذا عراقُ اللهِ في عبّاسِه ... ألفُ انتماءٍ للحسينِ وعِزَّةِ

في مَبْزَغِ الضوءِ انطلقْتَ قَوادماً ... هَزَمَتْ خوافيَ القَهرِ عندَ مُلَمَّةِ

وَجَدَلْتَ عُنوانَ الشهادةِ باقةً ... للمؤثِرين نثرْتَ عِطرَ الوَثْبةِ



الثكنة العسكرية في العشار1910

حُوش الباشا (محلّة الباشا)

سُمّيت (محلّة الباشا) بمحلّة حوش الباشا؛ لتعدُّد الباشَوات الذين سكنوها من ولاة البصرة، كما ورد في رحلة الرحّالة (نيبور) الدّنماركيّ؛ إذ يشير إلى أنّ دار السَّراي كانت موجودةً في سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م، وكانت تقعُ بالقرب من السّراي، تجاهَ غربيِّ جهتِه الغربيّة، بعضُ بيوتات الجالية الأجنبيّة، مع وجود دارَين للقنصل الانجليزيّ والفرنسيّ، ويُعرفُ مكانُهما يومذاك بـ(الشنيار)؛ لأنّهما كانا يرفعان عَلَمَي حكومتيهما على هاتين الدارين. وقد خُرّبَ هذا المكان بسبب وباء الطاعون سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٣م أيّام حصار صادق خان الزبيديّ على البصرة سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٤- ١٧٧٦م، مع نكبات الدهر، من الطاعونين الآخرين، اللذين فتكا بأهل البصرة، وكذلك وباء الهَيْضَة في سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٩م.

وفي سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٩م نُقل سرايُ الحكومة إلى سوق السّيمر قرب جنوبيِّ نهر العشّار، في ولاية (ويسي باشا) على البصرة، وجَعَله طابقاً واحداً. وأمّا (البلوش)، فبعد أن حَلَّ فيها الخرابُ أثر الطواعين والنكبات، اتُّخذت مسكناً للفقراء والمعوزين، وأغلبُهم من الغرباء، الذين أتوا إلى البصرة من إيران

وبلوجستان (البلوش)؛ لكسب الرزق، والاشتغال، خاصّة من أصحاب الحِرَف، وسُمّيت على اسمهم محلّة الأفغان (البلوش)، ثمَّ سكَنَها بعضُ المسيحيّين، وبُنيت فيها الكنائسُ، فأخذت العِشَشُ في السابق تزولُ، ويحلُّ محلَّها بناءُ البيوت من الآجُرّ (الطابوق) وبعض بيوتات الشَّناشيل.

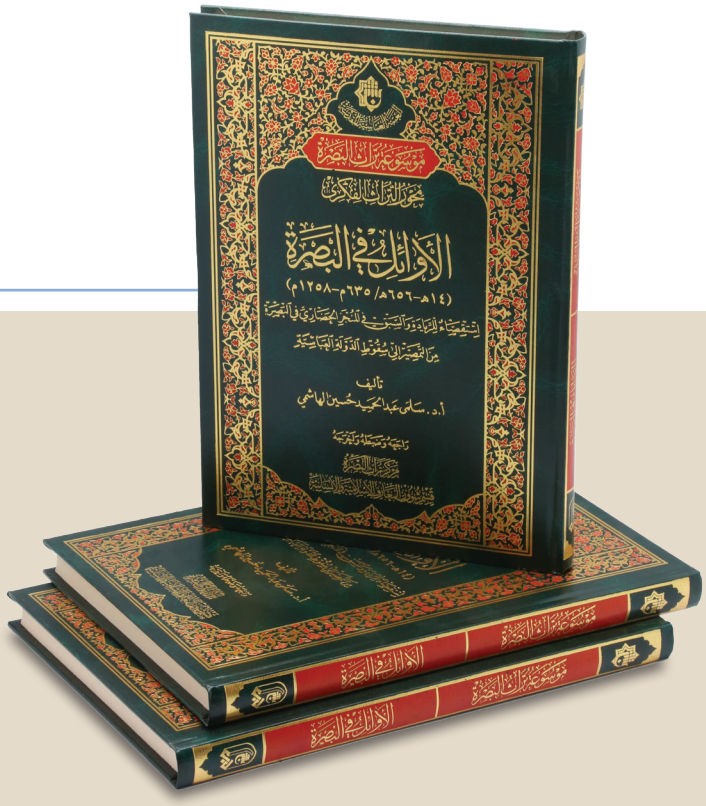
مَحلّة الأرْمَن

من محلّات البصرة القديمة، تقعُ في مُنتَصَف طريق العَشّار، وتأتي بعد محلّتَي: الفِرْسيّ والعبّاسيّة شَرقاً. وقد خُصِّصَت هذه المحلّة إلى مهجَّري الأرمَن، الذين أخرجوا من مذابح بلاد الأناضول التركيّة في أثناء الحرب العظمى (الأولى) عام ١٩١٥م، وجعلت السلطاتُ البريطانيّةُ هذه المحلَّةَ لسُكناهم، وسُمّيت باسمهم، والمختارُ يُنتخب من قِبَلهم، ولكنَّ غالبيَّتهم هاجروا بسببٍ وآخر.





سراي الحكومة في سوق السيمر1914



الأوائلُ في البَصرة (١٤هـ- ٦٥٦هـ)

المؤلّف: الدكتورة سلمى الهاشميّ

د. أشرف عبد الحَسَن

إنّ معرفةَ بداية الأشياء والعلوم هي فطرة إنسانية جُبل عليها، وهي من قبيل تفكّر الانسان ببدايات الكون، وبدايات الصنائع والفنون والعلوم، وتعدُّ الكتابةُ في تثبيت الأوائل في علمٍ من العلوم أو اتّجاه من الاتّجاهات، ممّا عرفه الفكر الإسلاميُّ في مرحلة نضجه وتطوّر مناهجه في التأليف، ولا شكّ في أنّ هذا الفنَّ قد ظهر مع بدايات تأليف المصنّفات والموسوعات وحفظ الروايات والأخبار في العصر العباسيّ الأوّل، ويُعدُّ هشامُ بنَ السائب الكلبيّ (ت ٢٠٤هـ) من أوائل الذين صنّفوا في هذا المجال، وكذا ألّف عليُّ بن محمّد المدائنيُّ (ت ٢٢٨هـ) فيه، وكذا برز التصنيف في هذا المجال في الأواخر في قبال الأوائل في مختلف الأمور والمجالات.

وممن ألف في هذا المجال وأبدع، الدكتورة سلمى الهاشميّ، في مؤلَّفها الرائع (الأوائلُ في البَصرة: ١٤هـ - ٦٥٦هـ)، واختارت المؤلّفةُ أن تقسِّم الدّراسة على خمسةِ فصول، نتناولها باختصار فيما يأتي:

أمّا الفصلُ الأوّلُ، فقد استعرض الأوائلَ في البصرة في الفترة المشخّصة في الجانب السّياسيّ، فتعرضت لأوائل المواقع العسكريّة، والحركات، والثّورات التي دارت رحاها في البصرة، إذ عانى أهلُها من المحن والبلاءات المختلفة؛ جرّاء الأوضاع السّياسيّة والعسكريّة المترديّة، كالتّهجير والهجمات العدائيّة، التي شنّها الخوارج والزُّنج والقرامطةُ، وهجمات الأعراب، التي روَّعت أهلَ البصرة، وعبثت بممتلكاتهم سلباً ونهباً.

وأما الفصلُ الثاني، فقد كرّسته المؤلّفة لمتابعة أوائل النُّظُم الإداريّة المستحدَثة في البصرة، كأوائل الولاة، وأوائل القضاة، والأوائل في مجال الشُّرطة والحرس، وفي الرّقابة على الأسواق، وأوائل مَن تولّى الوظائف الإداريّة، كالكتّاب والعمّال، فضلاً عن أوائل النّظم التي أسهمتْ في تطوير المؤسّسات الإداريّة، وأوائل الجرائم والجنايات، وأوائل العقوبات، والتّجاوزات في العقوبات التي فرضتْها السّلطاتُ الجائرة.

وتناول الفصل الثّالثُ الأوائل في الجانب العمرانيّ، فالبصرة المدينة الإسلاميّة الأولى التي مُصِّرتْ خارجَ جزيرة العرب، وفيها أُرسيتْ أولياتُ الخطط والوحدات العمرانيّة، كأوائل المساجد ودور العبادة والكنائس والأديرة، وأوائل خطط الأهالي والبيوت والقصور، وأوليات مؤسّسات الدّولة، كدار الإمارة، والسّجن، والدّيوان، وأوليات المدارس العامّة والخاصّة، وأوليات المقابر والحمّامات الخاصّة بالرّجال والنّساء، وأوائل الأنهار التي حُفرتْ للإرواء أو لتحلية ماء البصرة.

وفي الفصل الرّابع تطرّقت المؤلّفة إلى الأوائل في الجانبين: الاجتماعيّ والاقتصاديّ، فعلى الصّعيد الاجتماعيّ، فإنّ البصرة بوصفها أوّل مدينة إسلاميّة مُصِّرتْ خارج جزيرة العرب، فقد نزلها العديد من القبائل العربيّة والأقوام الأجانب، فجاء التّركيز على أولى القبائل العربيّة التي نزلتْ البصرة، وأوائل الأقوام الأجانب من الفرس، ومن السند، ومن الأحباش والأتراك.

وتبعا لاختلاف الأقوام، فقد برز في البصرة أوائل أشكال اللباس، وأوليات دعوات الطعام، والعادات والرّسوم الاجتماعيّة، وأوائل الطّقوس الدّينيّة المستحدَثة فيها، وتعرّضتْ للعديد من الكوارث الطبيعيّة، ولا سيّما الأوليات منها، كأوّل حريق، وأوّل غرق، وأوّل طاعون.

أمّا على الصّعيد الاقتصاديّ، فقدْ برز في البصرة أوائل المهن والأعمال الاقتصاديّة، والنّظم الخاصّة بالجانب الماليّ، كالعطاء، والضّرائب، والنّقود، والمعاملات في الأسواق.

وخُصِّصَ الفصلُ الخامسُ لمتابعة أوائل الإسهامات في الجانب الفكريّ، ولعلّ هذا الجانبَ من أوفر الجوانب وأخصبِها وأهمِّها؛ إذْ كانت للبصريّين الرِّيادةُ في العديد من الإسهاماتِ الفكريّة، فقد كانتْ

البصرة موطناً لنشأة علوم النّحو، والعَرُوض، والكلام، والاعتزال، وفي كلّ حقلٍ علميٍّ أو معرفيٍّ كان في البصرة علماءُ أوائلُ تركوا بصماتٍ ميَّزتهم عن غيرهم، الأمر الذي يعكس التطوّر الفكريّ الذي شهدته البصرة على مدى العصور الإسلاميّة، فشمل ذلك التطوّرُ حقلَ التّعليم وتنوّع المؤسّسات التّعليميّة، والتّطوّر في العلوم العقليّة، ولا سيّما في علم الطبّ بفروعه واختصاصاته المختلفة، وفي علم الحيوان، والنّجوم، فضلاً عن العلوم الدّينيّة، وقدْ دُوِّنتْ أوائلُ المصنّفات المهمّة والمشهورة بأقلام عددٍ من مشاهير علماء البصرة ومفكّريها.

ونعرضُ هنا شذراتٍ منْ سيرة الباحثة: هي الدكتورةُ سلمى عبد الحميد حسين الهاشميّ، من مواليد البصرة/ منطقة السيمر ١٩٦٤، حصلت على الماجستير سنة ١٩٩٠، وعلى الدكتوراه سنة ١٩٩٥ من جامعة البصرة، من كلية الآداب، قسم التاريخ، تسلّمَت عدّة مناصب إداريّة، منها: رئاسة قسم الدراسات التاريخيّة في مركز الدراسات الايرانيّة/ جامعة البصرة، سنة ١٩٩٨، ومديرة مكتبة كليّة الآداب/ جامعة البصرة، من (٢٠٠٢- ٢٠٠٩)، وحصلت على درجة أستاذ.

تسلّمت رئاسةَ اللجنة العلميّة لمؤتمر تحقيق المخطوطات وإحياء التراث البصريّ المخطوط سنة ٢٠١٧، ورئاسةَ لجنة الخبراء في اختصاص التاريخ، المشكّلةِ من قِبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي سنة ٢٠١٨، لها أحد عشر بحثاً للسنوات من ١٩٩٣- ٢٠١٤ في مجلّات كلّية الآداب، ومجلّة دراسات ايرانيّة، ومجلّة أبحاث البصرة، ولها سبعةُ مؤلّفات، منها: كتاب أخبار البصرة، لعمر بن شبة النميريّ، وكتاب الأوائل في البصرة.

لها العديدُ من النشاطات الثقافيّة والمشاركات في المؤتمرات والندوات في جامعة البصرة، وديالى، وذي قار، وميسان، وكربلاء، وحصلت على العديد من الجوائز وكتب الشكر والشهادات التقديريّة من الجامعات العراقيّة، ومن اتّحاد المؤرّخين العرب، ودَرَّسَتْ المراحل الأوليّة والعليا في كليّة الآداب، وأشرفت على ثمانية رسائل ماجستير وستّةَ عشرَ أطروحة دكتوراه.

ويعدُّ كتاب (الأوائلُ في البَصرة: ١٤هـ- ٦٥٦هـ) إضافة مهمّة الى جانب إضافات العلماء الذين صنّفوا في هذا المجال من قبل، وأغنى المكتبةَ بمعلوماتٍ وفيرة حول الأوائل في العلوم، والفنون، والميادين السياسيّة، والإداريّة، والعمرانيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والفكريّة كافّة، وبيّن قَدَمَ السّبق لمدينة البصرة في مختلف ميادين العلم والحضارة، واستحقّتْ بذلك أن تنالَ لَقب (عين العراق)، ولَقب (أُمّ العراق)؛ لما لها مِنْ أهمّيّةٍ وريادةٍ، وهي- كذلك- أولى مَنْ اشتهرتْ بلقب (قبّة الإسلام وخِزانة العَرَب).



الشَّهيدُ السَّعيدُ
حيدر سالم حميد المالكي

آمنة عبد الحسين كاظم

قال تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾[1].

إنَّ الفَسادَ الطارئ على الدِّين و الدُّنيا من قبل عدّةٍ ممّن لا هوىً لهم إلّا في نفسه و دنياه، لا يمكن سدُّ ثُلمته إلّا بالصلاحِ الفائضِ من قبلِ آخرينَ ممّن لا هوى لهم إلا بربِّهم وإصلاحِ الأرضِ ومَن عليها، وإن النَّحبَ الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾، يعني: النَّذر الواجبَ الوفاء، أي: ينذرُ نفسَه، ويكون مستعدّاً للتَّضحية مهما بلغت المعاناة من بأساءٍ وضرَّاء، ومِن هؤلاء، ومَن كان من بين الشُّجعان، الذين صَدَقوا عهدهم مع اللهِ، هو الشُّهيدُ اليافعُ (حَيدر سالم حميد المالكي).

وُلِدَ الشَّهيدُ في عام (١٩٩٦م)، في محافظة البصرة قضاء -شطّ العرب.

كان والدُهُ أحدَ طلبةِ العلم في الحوزَةِ الدِّينيَّة، فعَملَ على تربيةِ وَلَدِهِ تَربيَةً حُسينيَّةً، وأخذَهُ معَهُ إلى (النَّجفِ الأشرفِ)، مدينةِ العلمِ والفَقاهَة، ثمّ عادوا إلى (البصرةِ)؛ بسببِ اضطهادِ السُّلطَةِ لطلبةِ العلومِ الدِّينية، وانتقلَ مع والده إلى منطقةِ الزِّريجي في الكرمةِ في فترة الاضطهادِ قبل (٢٠٠٣م)، وثمَّ إلى النَّجف، ثم عادوا إلى البصرةِ، منطقةِ حيِّ العامِل.

أكمَلَ الشَّهيدُ دراستَهُ الابتدائيةَ في البصرةِ، ثم انتقلَ إلى مدينةِ كربلاء منطقةِ الهنديةِ، وكان يمتازُ بأخلاقِهِ



وأدبه منذُ طفولته، وعُرف بحرصه على التواصل مع الأرحام والأصدقاء، لا يحملُ حقداً أو كراهيةً على أحد، ويذكرُ والدُ الشَّهيد إنَّهُ كانَ كثيرَ الحياء، وعندما وَصَلَ إلى الصَّفِّ الثاني المتوسِّط، التحقَ بالدِّراسَة الحوزويَّة، في مَدرسَة (شَريف العُلماء) في كربلاء، وأكمَلَ المقدِّمات بنجاح وامتياز، ونتيجةً لتعرّض والد الشَّهيد إلى حادث مؤسف، اضطرَّت العائلةُ إلى الرجوع إلى مدينة البَصرَة، والاستقرار فيها.

امتازَ الشَّهيدُ -أيضاً- بعلاقاته الاجتماعيَّة الواسعة، وتعامله السَلس، وطباعه الهادئة، وعَملَ لفترة طويلة في المجال الحُسينيِّ، وخدمَة المواكب التي تُعنى بالشَّعائر الدِّينية، بالإضافة إلى عَمله كأستاذ لحلقات الدُّروس العقائديّة، والفقهيّة، والقرآنيّة، التي تقام في الدَّورات الصَّيفيَّة .

تَزَوَّجَ (رحمه الله) بداية التحاقه بالواجب الكفائيِّ، ورُزِقَ بطفلٍ توفِّي وهو رضيعٌ؛ بسبب فتحات في القلب، فلم يثنه ذلك عن رغبته في الجهاد والدِّفاع عن الوطن والمقدَّسات، فعند صدور الفتوى المباركة، كان والدُ الشَّهيد من الملتحقينَ بالوجبة الأولى من المجاهدينَ، وأمّا الشَّهيد (حيدر)، فالتحق بالوجبة الثانيَّة بتحفيز وتشجيع من والده، الذي كان مُشرفاً على الشَّباب المتطوِّع في فرقة العبَّاس القتالية في البصرة، في حينها، خَضَعَ (حَيدر) لتدريبات عسكريَّة قاسية، ومن الطِّرازِ الأوَّل، تجاوزها بتفوّق وبسالة، حتى لقّبوه بالأشوَس الصَّغير، رافق والدَه في عِدَّة معارك منها : معرَكة الجرف، وجانب عويسات، و جِسر الفاضلية، و بعد التحرير، انتقلوا من(الجرف) إلى (سيد غريب)، و(العامرية)، وشارك في (الكسَّارات)، وبعد انهيار (الرمادي)، انتقلوا إلى (النُّخَيْب)، حيث كان والدُ الشَّهيدُ الشيخ (سالم المالكي) هو من يترأس القُوّة في (النخيب)، وفي وقتها كانت المعركةُ شديدةً، وكانت مدينةُ (كربلاء المقدَّسة) مهددةً من قبل الدواعش، فبَذَلَ المجاهدون فيها جهوداً جبَّارةً إلى أن استتبَّ الأمنُ.

ثمّ شارَك (رحمه الله) في معارِكَ (بيجي) و(الصِّينيَّة)، وعندما بدأت معارك (البشير)، واحتيج إلى مقاتلين لتعزيز القوّة، انبرى (حيدر) إلى الالتحاق بهم، وبقي في (البشير) مدة (٢٤) يوماً، وعُرِفَ خلال هذه المعركة بشجاعته وتفانيه في القتال، وحماسه، واندفاعه، وعندَما تمَّ تقسيمُ الفرق القتاليّة إلى أربعة أقسام:(قوّة مطيبيجة، وقوّة بيجي، وقوّة البَشير، وقوّة الموصل)، التحقَ الشَّهيدُ (حيدر) ووالدُهُ الشيخُ (سالم) بقوّة (الموصل)، وشارَكَ في المعارك المختلفة، ومنها: معركة (تلّ عَبطة)، التي استُشهِد فيها إخوتُه في الجهاد: (عقيل)، و(قاسم) و(يوسف)، وبعدها شارَك في معركَة حقّقوا فيها انتصاراً بارعاً.

ويذكُرُ أحَدُ المجاهدينَ المرافقينَ للشَّهيد (حيدر: (إنَّه كان قد تمَّ محاصرتهم من قبل الدَّواعش في التَّل، وبدأت ذخيرتُهم تنفد، مع وجود قنَّاص داعشيٍّ يستهدفهم، فما كان من الشَّهيد حيدر إلا أن قام بحركة قتالية، وتَدَحرَجَ إلى أسفلِ التَّل، وأحضر

الذخيرةَ لرفقائه، وأنقَذَهُم بذلك من الموتِ المحَقَّق.

وفي الشهرِ الأخيرِ من حياتِه، استعَدَّ الشَّهيدُ (حيدر) للقاءِ ربِّه، فبدأ بتسديدِ ما بذمَّته من ديونٍ، فباعَ (ستّوتته)، وكانت والدَتُهُ تَلحُّ عليه في ذلك الوقت للتَّقديم على الشَّركات الأهليّة؛ لغرضِ العمل فيها، فقال لها: (اتمنى أن أتعيَّن (شَهيداً))، وبعدها أوصى أخاه (عليّاً) بالاهتمامِ بأمِّهِ وأبيهِ وأخوتِه، وقال له: (أبلغ والدي التَّحيّةَ، وقل له أن يبرئني الذِّمة، ويفتخرَ بي، وليرفعَ رأسَهُ عند شهادتي).

وفي المعركة الأخيرة التي شارَك فيها في (بادوش) في الموصل، كانت معركةً شَرِسَةً، وكان يوصي صديقَهُ (حمزة) ويقول له: (إنَّ مَنْ يستشهِد أوّلاً يحملُهُ الآخر)، واتّصل بوالدَتِه وذويه، وودَّعهم، وعند دخولهم إلى منطقةٍ تسمى (المشروع)، وكان فيها نازحون محاصرون من قبلِ الدَّواعش، أرادَ الشَّهيدُ أن يباغتَهم وينقذ العوائلَ المحاصرة، ولكنْ، رماهُ داعشيٌّ برمّانَة أدَّت إلى جُرحٍ يده، ثمَّ غَدَرَهُ قَنَّاصٌ ورماهُ في صدره، فأستشهد رضوانُ اللهِ عليه في مساءِ يوم (٢٠١٧/٣/١٤م)، فنُقلَ جثمانُهُ الطاهرُ إلى كربلاء ليؤدّيَ التَّحيةَ لسَّيِّد الشُّهداء، معلناً عن تقديمِ روحِه الطاهرةِ قُرباناً لحمايةِ الوطنِ وصَونِ الأعراض، وبعد ذلك، انتقلوا بالجُثمانِ الطاهرِ إلى مكانِ سكناه في البصرةِ الفيحاء، التي أعطتْ من الشُّهداءِ ما يجفّ القَلمُ عن تسطيرِ أسمائهم؛ لكثرتهم، وكثرةِ ما سَطَّروه من بطولات.

وكأنَّ لسان حاله يقولُ ﴿يالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٢]، فسلامٌ على الشُّهداء الذين يرحَلون جسداً ويحيون فكراً، سلامٌ على السُّور الذي صانَ بلادَ الأنبياء، سلامٌ على من تاجروا بأرواحهم مع الله، فكانت تجارتهم هي الأربح.



الهوامش

سورة يس: الآية ٢٦-٢٧.

التِفاتة

بتوفيق من الله تعالى، ومِنَّة منهُ، وبرعايةٍ كريمةٍ، وتوجيهٍ من لدُن العتبةِ العبّاسيّةِ المقدَّسةِ، استطعنا في مركز تراث البصرة جمعَ ما يقرب من (٤٥٠) مصوَّرةً لمخطوطات تُعنى بالشأن التراثيّ البصريّ، وبمختلف الموضوعات، خلال هذه السنينَ القليلة من عمر المركز، ونحن عازمون - بخطى حثيثة - واثقة على جمع المزيد من تراثنا المغيَّب، الذي فقدنا الكثيرَ منه في حِقَبٍ زمنيّة مختلفة، ولن ننتظر أن نفقدَ المزيدَ منه لأيِّ سبب كان.

يضاف إلى ذلك، أنَّ المركز يعملُ - بكل جدّ ونشاط - على أن يرى التراثُ طريقَه الى النور، فيكون في متناول الجميع، خصوصاً الباحثينَ عن هذا الشأن والمهتمّين به، ونحن الآن - بحمد الله وتسديده - بصدد إصدار مطبوعٍ تحت عنوان (كشّافُ مصوّرات النُّسخ الخطّيّة في خِزانة مَركَز تراث البصرة)، وكذا نعملُ جاهدين على إنجاز العمل في الجزء الأوّل من كتاب (التراثُ البصريُّ المخطوطُ في مكتبات العالم)، للباحث المحقق، الدّكتور نزار المنصوريّ، الذي يضمُّ حرف الألف فقط بمعدّل (٤٥٥)عنوان و (١٩٧٠) نسخة من المخطوطات البصريّة بشتى المواضيع، معزَّزاً بأماكن تواجدها.

وقد وضعنا خطَّة لدراسة هذه المخطوطات وفحصها، بهدف وضعِ الأولويّاتِ المناسبةِ للبدء بعمليّة التحقيق والطباعة للأهمّ منها فالأهمّ؛ ليطَّلع الجميع على تراث هذه المدينة المعطاء، ويستفيدوا منه في حقوله المختلفة.

ونحنُ في المركز، في الوقت الذي نشكره تعالى كثيراً على ما حبانا به من توفيق وتسديد في مجال الاهتمام بتراث هذه المدينة الكبير، نتوجّه بكل امتنان إلى كلّ مختصّ بالتاريخ والتراث، وإلى كلِّ حريص على المحافظة على تراث المدن الفكريِّ، ملتمسين أن يُسهم معنا بما استطاع في حفظ هذا التراث، ونشره؛ لما فيه من النَّفع العامِّ، وتعزيز ثقافةِ المجتمعِ، وتذكيره بماضيه الفكريّ العَريق.

• مدير التحرير



لوحة فنية للرسام محمد البصري تمثل الآية القرانية المباركة، سورة القلم : الآية : ١



نهر العشار في البصرة ١٩٠٦م